وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ – الدراسات العليا

الحياة العامة للمسلمين من خلال كتابات المؤرخين غير المسلمين حتى نهاية القرن الثامن الهجري

- دراسة نقدية -

أطروحة مقدمة
إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة ديالى
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

من قبل الطالب
فرقد شاكر علوان

بإشراف الأستاذ الدكتور
عبد الخالق خميس علي

1441هـ 2019م

الفصل الأول

قراءة في سير المؤلفين وكتاباتهم[1]

المبحث الأول

يوحنا النيقيوسي (ت نحو 81هـ/701م)

أولاً. اسمه ولقبه :

هو يوحنا ولم تشر مصادر ترجمته الى غير ذلك[2] ، أما لقبه فعرف بـ(النيقيوسي)[3] ، وعند بعض المصادر بالنيقياوي[4] ، وذلك نسبة إلى مسقط رأسه مدينة (نيقيوس[5])[6] ، وكانت هذه المدينة عاصمة الإقليم الرابع في مصر الفرعونية ، وتسمت (نيت رسى) ، أي نيقيوس ، وتغير اسمها إلى أبشاتي ، قيل : إن الملك بروسويس أحد ملوك بطالمة

---

(1) أنظر : ملحق رقم (1) .

(2) يوحنا ، منسي ، تاريخ الكنيسة القبطية ، (القاهرة : طبع على مطابع شركة تريكرومي للطباعة ، د.ت) ، ص302 ؛ نخلة ، كامل صالح ، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ العالم القديم ليوحنا النيقيوسي (ت نحو 81هـ/701م) ، (القاهرة : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، د.ت) ، ص7 .

(3) ابن المقفع ، ساويرس (ت نهاية ق4هـ/10م) ، تاريخ البطاركة ، إعداد : الانبا صموئيل ، (القاهرة : دار النعام للطباعة ، د.ت) ، ج1 ، ص107 ؛ جورج ، انطون فهمي ، الآباء المؤرخون، (الإسكندرية : كنيسة مار مرقس ، 1413هـ/1993م) ، ص86 .

(4) يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص302 ؛ بتشر ، أ.ل ، تاريخ الأمة القبطية ، تعريب : اسكندر تادرس ، (القاهرة : مطبعة مصر ، 1318هـ/1901م) ، ج2 ، ص167 .

(5) نيقيوس : قرية في مصر بين الفسطاط والإسكندرية ، تقع إلى الشمال من مدينة منف وتبعد عنها فراسخ عديدة ، كان لعمرو بن العاص بها وقعة مع الروم في أثناء الفتح العربي الإسلامي لمصر . ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1229م) ، معجم البلدان ، ط2(بيروت : دار صادر ، 1416هـ/1995م) ، ج5 ، ص303 ؛ ابن عبد الحق ، عبد المؤمن بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت739هـ/1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط1(بيروت : دار الجيل ، 1412هـ/1991م) ، ج3 ، ص1388 .

(6) جورج ، الآباء المؤرخون ، ص86 .

مصر هو الذي غير اسمها الى هذا الاسم اليوناني[1] ، وأطلق عليها العرب اسم أبشادي ، وتقع على إحدى فروع نهر النيل[2] ، وكانت مركزاً تجارياً مهماً في ذلك العصر[3] .

ثانياً. نشأته وتعلمه :

نشأ يوحنا في مدينة نيقيوس في بداية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي[4] ، ولا نعرف عن حياته الكثير على الرغم من عد المصادر له أنه من ضمن مشاهير الآباء[5] ، وبعد أن بلغ مرحلة الشباب ترهَّب في دير مقار الكبير[6] ببرية شيهيت وعرف عنه البحث والتقصي والمعرفة والإدارة[7] ، إذ كان كاتباً ماهراً ومؤرخاً مدققاً ، فضلاً عن سمو مبادئه وأتساع عقله[8] ، وكان في رهبانيته يتميز بالقدامة والعمق الروحي وحسن التدبير[9] .

عاصر يوحنا أربعة من البابوات هم كل من : البابا أغاثون (661-673م) ، والبابا يوأنس الثالث (673-686م) ، والبابا إسحاق البطريك (686-689م) وسيمون البطريك (689-701م)[10] .

---

(7) نخلة ، مقدمة تحقيق تاريخ العالم القديم ، ص7 .

(1) بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص168 .

(2) النيقيوسي ، تاريخ العالم القديم ، ص31 .

(3) جورج ، الآباء المؤرخون ، ص86 .

(4) نخلة ، مقدمة تحقيق تاريخ العالم القديم ، ص7 .

(5) هو أحد أديرة وادي النطرون ويعرف ببرية شيهيت الممتدة غرباً على جانب البرية القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم ، ويعد هذا الدير عند الأقباط دير جليل وبخارجه أديرة كثيرة خربت ، وكان دير النساك في القديم ولا يصح عندهم بطركية البطرك حتى يجلسوه في هذا الدير بعد جلوسه بكرسي إلاسكندرية . المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي (ت845هـ/1441م) ، تاريخ الأقباط المعروف بـ(القول الابريزي للعلامة المقريزي) ، دراسة وتحقيق : عبد المعيد ذياب ، (القاهرة : دار الفضيلة ، د.ت) ، ص177 .

(6) جورج ، الآباء المؤرخون ، ص86 .

(7) بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص167 .

(8) نخلة ، مقدمة تحقيق تاريخ العالم القديم ، ص8 .

(9) جورج ، الآباء المؤرخون ، ص86 .

ثالثاً. أثره في الحياة الدينية في مصر :

كان ليوحنا أثر ديني واضح لاسيما في العمل الكنسي ، إذ أورد ساويرس بن المقفع معلومات عن حياته الدينية ، وذكره في أكثر من موضع من مؤلفه ، فقد ذكره لأول مرة في عهد البابا يوحنا الثالث (673-686) إذ قال : " بأن بعض الأساقفة ذهبوا لزيارة البطريك يوحنا أثناء مرضه وكان يوحنا النيقيوسي ضمن هذا الوفد "[1] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مركزه الديني المتقدم في مصر حينذاك .

كما كان له دور في انتخاب أسحق البطريك (689-686م) وهو البطريك الحادي والأربعون من بطاركة الإسكندرية ، إذ يذكر ابن المقفع إن الأساقفة اجتمعوا وكان مقدمهم يوحنا أسقف نيقيوس ، وذلك بعد أن رفض والي مصر الأموي عبد العزيز بن مروان[2] (65-85هـ/684-703م) تنصيب الشماس جرجة من أهالي مدينة سخا[3] بطركاً[4] ، إذ يشير إلى أنه جاء يقود الأساقفة إلى مصر من أجل تنصيب أسحق بطركاً[5] .

---

(1) تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص107 .

(2) هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، يكنى أبا الأصبغ ، كان والده مروان بن الحكم عقد له بولاية العهد بعد عبد الملك لكنه توفي بمصر في جمادى الأولى عام 85هـ/703م . ابن سعد ، محمد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي (ت230هـ/844م)، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1410هـ/1990م) ، ج5 ، ص182-183 ؛ الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت بعد 355هـ/965م) ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق : محمد حسن محمد واحمد فريد المزيدي ، ط1(بيروت : دار الكتب العلمية ، 1424هـ/2003م) ، ص39 .

(3) سخا : كورة بأسفل مصر وقصبتها سخا ، وهي قصبة كورة الغربية ودار الوالي بها ، فتحها خارجة بن حذافة بولاية عمرو بن العاص عام 21هـ/641م . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، ص196 .

(4) تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص108 .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص109 .

وحين اضطربت الأوضاع في وادي النطرون[1] ، وكثرت مشكلات الرهبان في عهد البابا سيمون البطرك (701–689م) ، رأى الأخير بأن يوحنا هو الأكفأ لتولي هذا المنصب بوصفه خبيراً بتقاليد الحياة الرهبانية وقوانينها ، لذلك عينه مديراً للأديرة في هذا الوادي ومنحه سلطات عليهم[2] ، ولا يُعرف بالضبط كم من الزمن بقي في منصبه هذا كمدير للأديرة[3] ، ثم رُقي رئيساً لأساقفة الوجه البحري ، وجمع حوله العديد من المستشارين الأمناء[4] .

رابعاً. الحادثة التي واجهته في أثناء أسقفيته :

ذكر ابن المقفع أن يوحنا بعد توليه رئاسة الأسقفية عمَّدَ عدداً من الرهبان المحبين للشهوات عام 79هـ/698م بإخراج عذراء من ديرها ودخلوا بها وادي هبيب[5] وأوقعوا بها الفاحشة سراً ، فلما ظهر ذلك بين الرهبان كان بينهم قلق عظيم إذ لم يسمع مثله في ذلك الموضع[6] .

ولما علم يوحنا بالخبر أخذ الراهب الذي ارتكب الخطيئة وضربه ضرباً موجعاً ومات بعد عشرة أيام من ذلك ، فلما شاع الخبر اجتمع جميع الأساقفة بكور مصر[7] ، وكان

---

(1) يقع هذا الوادي بالجانب الغربي من أرض مصر ، وكان به مائة دير للنصارى ، وهو وادي كثير الفوائد فيه النطرون هو ما يطلى به الجلد ويتحصل منه مال كثير ، وفيه الملح الأندراني والملح السلطاني . المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418هـ/1997م) ، ج1 ، ص344 .

(2) ابن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص113 .

(3) بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص168 .

(4) نخلة ، مقدمة تحقيق تاريخ العالم القديم ، ص9 .

(5) وادي هبيب : يقع هذا الوادي في الجانب الغربي من مصر فيما بين مريوط والفيوم ، يجلب منه الملح ، عرف بهبيب بن معقل بن الواقعة بن حزام بن عفان الغفاري أحد أصحاب رسول الله ﷺ ، ويقال لهذا الوادي أيضاً وادي الملوك ووادي النطرون ، وبرية شهاب وبرية الاسقيط . المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص344 .

(6) تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص113 ؛ بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص168 ؛ يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص302 .

(7) ابن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص113 ؛ يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص302 .

هذا أول مجمع يعقد هناك لمحاكمة يوحنا ولم يكن لبابا روما سلطة الإشراف عليه[1] ، وسأله الأساقفة عن قضية الراهب فأخبرهم بها واعترف أنه الذي أمر بضربه ، فأوجبوا عليه القطع (أي عزله من منصبه) لكونه تعدى حد الواجب[2] ، وقالوا له : " ما أنت في حل أن تدنوا إلى شيء من آلات الهيكل من الآن بل تأخذ السرائر كراهب عادي"[3] .

ثم إن مجمع الأساقفة نصبوا أسقفاً بدلاً عنه يدعى الأنبا مينا من (دير أبي مقار[4])[5] ، فلما رأى يوحنا الحكم الذي صدر بحقه نادى أساقفة المجمع قائلاً : " كما قطعتموني ظلماً ، الرب الإله الذي أعرف أسمه يجعل جميعكم غرباء عن كراسيكم إلى تمام الزمان الذي حكمتم عليَّ فيه "[6] ، ولم تذكر المصادر مدة هذا القطع ، ولكن ابن المقفع أورد في موضع آخر قائلاً : " وبعد ثلاثة أعوام أُطلق الأساقفة إلى كراسيهم "[7] ، أي أن مدة القطع دامت ثلاثة أعوام ، هكذا وردت في المصادر ، وإن وفاته لم تكن دقيقة جداً ولعله توفي بعد ذلك كوننا رجحنا أنه توفي في الربع الأخير من القرن الأول الهجري/الثامن الميلادي .

خامساً. كتابه (تاريخ العالم القديم) :

أ. وصف الكتاب :

يعد كتاب تاريخ العالم القديم من المصنفات المهمة الذي نال به يوحنا شهرته ، ويشمل تاريخ العالم منذ بدء الخليقة إلى القرن الأول الهجري/السابع الميلادي ، وقد وضع هذا المؤلَّف في مائة واثنان وعشرون فصلاً باللغة القبطية[8] .

وقد أسهب في الفصول الأحد عشر الأخيرة في سرد الحوادث الخاصة بالفتح العربي الإسلامي لمصر والتي كتبها كشاهد عيان ، وأورد تفاصيل لم توردها مصادر أخرى ،

---

(1) نخلة ، مقدمة تحقيق تاريخ العالم القديم ، ص10 .

(2) ابن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص113 ؛ بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص168 .

(3) ابن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص113 .

(4) دير أبي مقار : هو أحد أديرة وادي النطرون ، وهو دير جليل عندهم ، والمقارات ثلاثة أكبرهم صاحب هذا الدير ثم أبو مقار الاسكندر ثم أبو مقار الأسقف . المقريزي ، القول الابريزي ، ص177 .

(5) ابن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص113 .

(6) يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص302 .

(7) تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص117 .

(8) جورج ، الآباء المؤرخون ، ص87 .

وكشف الغموض عن بعض الشخصيات ، وأورد أسماء مدن وبلدان بمواقعها القديمة ودورها في مسار التاريخ ، وهذا أعطى الكتاب قيمة تاريخية وجعله مصدراً لا غنى عنه لكل باحث في تاريخ ذلك العصر .

وقد وضع هذا الكتاب بلغته القومية (القبطية) ومن سوء الحظ أنه ضاع برمته ولم يبقَ منه غير نسخة مترجمة ، ترجمها قبطي كان مقيماً ببلاد الحبشة يدعى غبريال (جبريل) إلى اللغة الحبشية[1] ، وتمت هذه الترجمة عام 1002هـ/1594م ، وكان ذلك بأمر من الملكة مريم سنا زوجة الإمبراطور الحبشي سجد الأول (1597-1563م) ، وأثناسيوس قائد الجيش الحبشي[2] .

كما قام المستشرق الفرنسي زوتنبرج بنقله من الحبشية إلى الفرنسية عام 1883م وجاء بعده العالم تشارلز وترجم نص زوتنبرج المنشور إلى اللغة الانكليزية عام 1916م[3] ، وأخيراً ترجمه كامل صالح نخلة إلى العربية ، ويظهر إن المؤلف جمع معلوماته من كتب التاريخ القديمة ، ونراه يسرد الحقائق التاريخية بصراحة ووضوح تبين مدى ما وصل إليه من تعمق في البحث وغزارة في المادة[4] .

ب. منهجه :

كان يوحنا أحد رجال الدين النصارى المشهورين في مصر ، لذلك فإن عمله كأسقف فتحت له جميع الأبواب فيما يخص عمل المؤرخين من خلال اطلاعه على صحف الأقدمين حاصلاً منها على قسم موفور من المعارف الدينية والأدبية .

كان متعصباً لقوميته ولديانته لدرجة لم يدع فرصة بإمكانه أن يتكلم فيها عن مصر إلا وذكرها في هذا الكتاب ، وبالنسبة لتعصبه الديني يذكر الاضطهادات التي قام بها الملوك الرومان ضد النصرانية ، إذ يذكر مثلاً الإمبراطور الروماني دسيوس (داكيوس)

---

(1) بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص167 ؛ نخلة ، مقدمة تحقيق تاريخ العالم القديم ، ص12 .
(2) نخلة ، مقدمة تحقيق تاريخ العالم القديم ، ص12 .
(3) يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص302 ؛ بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص167 .
(4) يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص302 .

(249–251م) ويصفه بالشرير وعدو الله الذي نظم اضطهاداً عنيفاً ضد النصارى ، وثبت الديانة الوثنية وقوانينها الدينية[1] .

كما أن عاطفته تجاه مذهبه الأرثوذكسي كانت واضحة ويعده العقيدة الصحيحة ، أما أتباع المذاهب الأخرى فهم أعداء للرب ، فيذكر مثلاً : إن الإمبراطور الروماني ثيؤدسيوس (450–408م) رد للمؤمنين كنائسهم ، وهدم عبادة الأوثان ، وأمر وثبت الإيمان الأرثوذكسي الحق[2] .

ولشدة تعصبه لبلده مصر يذكر بأنها كانت سباقة في كثير من الأمور ، كصياغة الذهب وصهره ، وإن أهلها أول من أخترع صياغته وكيفية صهره[3] ، كما ذكر إلى أنها أول من عرف وضع آلات الحرب والقتال ، وأول من صنع أسلحة الحرب وعمل الأحجار التي استخدموها في الحرب[4] ، فضلاً عن ذلك ذكر بأنهم أول من أهتم باستصلاح الأراضي والفلاحة وفرض الضرائب وردم المستنقعات ، وزراعة الأراضي المستصلحة[5] .

وبوساطة الاطلاع على هذا الكتاب وجد الباحث أن فيه بعض التناقض فيما يخص الفتح الإسلامي لمصر ، وربما يكون مبعث ذلك إضافات من المترجمين لهذا الكتاب ، لأنه ترجم لأكثر من مرة .

إذ ترى الباحثة بتشر إنَّ الترجمة الحبشية جاءت مملوءة بالأخطاء وغير منظمة ومحَّرفة ، لأنها لم تؤخذ من أصل الكتاب الذي وضعه يوحنا بيده ، ولكنها أخذت من أصل عربي موجز[6] .

ومن نماذج هذا التناقض ذكر إنَّ قائد فتح مصر عمرو بن العاص عامل المصريين بلا رحمة ولم ينفذ الاتفاقيات التي كانت قد أُبرمت معهم[7] ، في حين ذكر في موضع

---

(1) تاريخ العالم القديم ، ص62 .
(2) المصدر نفسه ، ص93 .
(3) المصدر نفسه ، 19 .
(4) المصدر نفسه ، ص20 .
(5) المصدر نفسه ، ص22 .
(6) تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص167 .
(7) تاريخ العالم القديم ، ص227 .

آخر من الكتاب قائلاً : " وأمر عمرو بن العاص برفع الضرائب التي كانت مفروضة على الكنائس ، كما لم يرتكب أي عمل من السلب والنهب بل كان يحميها خلال حكمه "[1] .

سادساً. وفاته :

لم تذكر المصادر تاريخ وفاة يوحنا ، لكنها ذكرت أنه عاش طويلاً إلى أيام البابا سيمون البطريك (81-69هـ/689-701م)[2] ، ذُكر أنه بعد الحادثة التي واجهته في أثناء أسقفيته عام 79هـ/698م والحكم الذي صدر بحقه عاش بعيداً وقضى بقية حياته ، وكان قد بلغ من العمر أقصاه وفقد بصره ولم يعش طويلاً بعد هذه الإساءة[3] ، أي أن وفاته كانت في الربع الأخير من القرن الأول الهجري/أوائل القرن الثامن الميلادي .

المبحث الثاني

(1) تاريخ العالم القديم ، ص233 .

(2) بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص167 ؛ جورج ، الآباء المؤرخون ، ص86 .

(3) بتشر ، تاريخ الأمة القبطية ، ج2 ، ص168 .

سعيد بن البطريق (ت 328هـ/940م)

أولاً. اسمه ولقبه :

هو سعيد ولم تذكر المصادر غير ذلك[1] ، ويكنى بابن البطريق[2] ، ويطلق مصطلح (البطريق) على الأشراف من الرومان ، وتعني أيضاً القائد والحاكم[3] ، وهنا لا تدل على شيء من ذلك بل ربما تكون اسم أطلق على والده ، كون الأخير لم يكن قائداً أو حاكماً ، ويبدو أنه كان (مستخدماً) أي يعمل كـ(فراش)[4] في أحد دواوين فسطاط مصر ، ودليل ذلك شهادة المسعودي (ت346هـ/958م) الذي قال : " إنه رأى في الفسطاط بمصر كتاباً لسعيد بن البطريق المعروف بابن الفراش "[5] . يبدو أن كلمة البطريق هي تحريف لكلمة البطريرك كون سعيد هذا قد تولى هذا المنصب في مصر للروم الأرثوذكس .

ثانياً. لقبه :

---

(1) الأنطاكي ، يحيى بن سعيد (ت458هـ/1065م) ، تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، (طرابلس : جروس بروس ، 1410هـ/1990م) ، ص23 ؛ ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين أبو العباس احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت668هـ/1269م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق : نزار رضا ، (بيروت : دار ومكتبة الحياة ، 1385هـ/1965م) ، ص545 .

(2) المقريزي ، القول الابريزي ، ص107 ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1505م) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ، 1387هـ/1967م) ، ج1 ، ص539 .

(3) أنظر : الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم البصري (ت170هـ/786م) ، كتاب العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، (القاهرة : دار ومكتبة الهلال ، 1405هـ/1985م) ، ج5 ، ص257 ؛ الأزهري ، أبو منصور محمد بن احمد الهروي (ت370هـ/981م) ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، ط1(بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1421هـ/2001م) ، ج9 ، ص303 .

(4) الفَّراش : هو من يتولى أمر الفرش وخدمته في المنازل ومن يقوم بإعداد الطعام والشراب في قاعات العمل المختلفة . مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، (القاهرة : دار الدعوة ، د.ت) ، ج2 ، ص682 ؛ عمر ، احمد مختار عبد الحميد ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط1(بيروت : عالم الكتب ، 1429هـ/2007م) ، ج2 ، ص1793 .

(5) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/958م) ، التنبيه والإشراف ، تصحيح : عبد الله إسماعيل الصاوي ، (القاهرة : دار الصاوي ، 1357هـ/1938م) ، ص132 .

اشتهر سعيد بن البطريق بلقب (أوثوشيوس)[1] ، في حين ذكرت بعض المصادر الأخرى إن لقبه هو (أفتيشيوس)[2] ، وهي كلمة يونانية الأصل ولم تذكر المصادر معناها ، ولكن يبدو أنها لقب أو مرتبة دينية ، ودليل ذلك أنه لقب بها بعد توليه بطريركية الإسكندرية[3] .

ثالثاً. ولادته :

ولد سعيد بن البطريق في الفسطاط يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة عام 263هـ/877م[4] .

رابعاً. نشأته وتعلمه :

نشأ سعيد بن البطريق في مدينة الفسطاط[5] ، وعندما شب امتهن الطب وأصبح طبيباً مشهوراً بعلم صناعة الطب[6] ، ونالت مهنة الطب اهتماماً وعناية في زمانه[7] ، فضلاً عن ذلك كانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم[8] ، ولم تذكر المصادر كيف

---

(1) قنواتي ، جورج شحاتة ، المسيحية والحضارة العربية ، (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د.ت) ، ص191 ؛ سركيس ، يوسف بن إليان بن موسى ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، (القاهرة : مطبعة سركيس ، 1346هـ/1928م) ، ج1 ، ص47 .

(2) شيخو ، لويس ، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، ط2(بيروت : دار المشرق ، 1420هـ/2000م) ، ص4 ؛ فانديك ، أدوارد كرنيلدس (ت1313هـ/1896م) ، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، صححه وزاد عليه : محمد علي السيلاوي ، (القاهرة : مطبعة الهلال ، 1313هـ/1896م) ، ص77 .

(3) أنظر : ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص545 .

(4) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت764هـ/1363م) ، الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، (بيروت : دار إحياء التراث ، 1420هـ/2000م) ، ج15 ، ص127 ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط15(بيروت : دار العلم للملايين ، 1423هـ/2002م) ، ج3 ، ص92 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص191 ؛ سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص47 .

(5) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص545 ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، (بيروت : مكتبة المثنى ، د.ت) ، ج4 ، ص221 .

(6) الأنطاكي ، صلة تاريخ أوتيخا ، ص23 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص191 .

(7) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 .

(1) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص545-546 .

درس هذه العلوم وأين ، ولكن نرى أنه درس العلوم اللاهوتية على يد بعض القساوسة والرهبان في الأديرة والكنائس المنتشرة بمدينة الفسطاط .

خامساً. مذهبه :

بعد دراسة ابن البطريق للعلوم اللاهوتية واطلاعه عليها اعتنق المذهب الملكاني (الارثوذكسي)[1]، وتدرج حتى صُيَّر بطريركاً في مدينة الإسكندرية[2] .

سادساً. توليه البطريركية :

كان لسعيد بن البطريق دراية بعلوم النصارى وتواريخهم[3] ، لذلك نال شهرة عند أبناء ديانته ، وأدى ذلك إلى أن يتدرج في المناصب الدينية ، ففي أول عام من عهد الخليفة العباسي القاهر بالله (322-320هـ/932-934م) ، عُين بطريركاً على كنيسة الإسكندرية[4] ، وذلك لثمان خلون من شهر صفر عام 321هـ/932م[5] ، وكان يبلغ من العمر نحو ستين عاماً عند توليه هذا المنصب[6] ، وبقي في منصبه سبعة أعوام وستة أشهر[7] .

سابعاً. أحداث عهده في بطريركيته :

يمكن القول إن الأوضاع في عهده كانت مضطربة وغير مستقرة ، إذ كان هناك انشقاق كبير وشر متصل بينه وبين أبناء مذهبه[8] ، إذ كان هناك جماعة من أطباء

---

(2) الملكاني : نسبة إلى المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصارى ، وهو أن للمسيح جسد على رأي مرقيانوس ملك الروم وطبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد ، وكان انقسام النصارى الى ملكية ويعاقبة في مجمع خلقدونية الذي عقد عام 451م . المقريزي ، الخطط ، ج4 ، ص402 .

(3) المقريزي ، القول الابريزي ، ص107 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص4 .

(4) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص546 .

(5) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج3 ، ص92 .

(6) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص191 ؛ سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص47 .

(7) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص545 .

(8) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 ؛ المقريزي ، القول الابريزي ، ص108 .

(9) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص545 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 .

فسطاط مصر وشيوخهم كارهين لرئاسته[1] . وذلك يعود على ما يبدو إن تنصيبه في بطريركية الإسكندرية لم يكن برضاهم أو باختيارهم ، وإنما من قام بذلك هو جهة الخلافة العباسية أو الحاكم الاخشيدي . وكان على مدينة تنيس[2] آنذاك أسقف يدعى ميخائيل ويعرف بابن النخيلي ، إذ استنفر سائر من كان من جماعة الملكية بمصر وحرَّضهم عليه ، فقطع اسمه في عدة كنائس وكراسي منها (تنيس والفرما[3])[4] ، فانقسم نصارى مصر على قسمين واضطربت الأوضاع بينهم ، وأصبح كل فريق منهم يستعين على الآخر بـ(سلطان[5]) حسب قول الأنطاكي[6] ، وعلى أثر ذلك بعث الأمير محمد بن طغج الأخشيد[7] أبا الحسين ويعرف بـ(صاحب بن علي الأحول) في طائفة من الجند

---

(1) كان هؤلاء الأطباء والشيوخ يريدون إزالة ابن البطريق عن منصبه وتنصيب غيره بسبب كرههم وغيرتهم من ما وصل إليه ابن البطريق . الأنطاكي ، صلة تاريخ أوتيخا ، ص23-24 .

(2) تنيس : من مدن مصر ما بين الفرما ودمياط بها تعمل الثياب الملونة والفرش ، يسكنها النصارى . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص51 .

(3) الفرما : مدينة قديمة بين العريش والفسطاط شرقي تنيس على ساحل البحر ، بينها وبين بحر القلزم المتصل ببحر الهند أربعة أيام . ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1031 .

(4) الأنطاكي ، صلة تاريخ اوتيخا ، ص23 .

(5) ويقصد به سلطان الدولة الاخشيدية محمد بن طغج الاخشيد الذي كان يحكم مصر آنذاك . الأنطاكي ، صلة تاريخ اوتيخا ، ص26 .

(6) صلة تاريخ اوتيخا ، ص25 .

(7) الاخشيد : هو محمد بن طغج بن حسين أبو بكر الفرغاني المعروف بالاخشيد ، ولي دمشق في خلافة المقتدر عام ثمان عشر وثلاثمائة ، وولي مصر من قبل القاهر في شهر رمضان عام واحد وعشرين وثلاثمائة ، توفي في ذي الحجة عام أربع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق ، وقيل : عام خمس وثلاثين وثلاثمائة . ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/1175م) ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الاماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق : عمر بن غرامة العمروي ، (بيروت : دار الفكر ، 1415هـ/1995م) ، ج53 ، ص285 ؛ ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر البرمكي الاربلي (ت681هـ/1282م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1(بيروت : دار صادر ، 1414هـ/1994م) ، ج5 ، ص56 ؛ الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1348م) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط1(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1423هـ/2003م) ، ج7 ، ص632 .

إلى مدينة تنيس فأنزلوه بالكنيسة التي يقيم بها الأسقف فختمها ومنع الصلوات فيها ، وقبض على أسقف تنيس وعلى أفتيشيوس البطريك ، وفتح خزائن الكنيسة وأخرج سائر آلاتها وجميع صياغتها ونحاسها وكانت كثيرة متوافرة ، حتى أن ذهبها وفضتها لكثرتها وزنا بالقبان ، وكتب إلى الاخشيد بذلك فأذن له بحمل الجميع إليه ، فاحضر البطريك والأسقف وطالبهما بإخراج ما بقي بالكنيسة من الآلات ، وضرب الأسقف ، وقدم البطريك ليضرب أيضاً فبكى الحاضرون وكثر ضجيجهم فعفي عن الضرب ، وطالبهم بالمال ، ووضع يده على مشترين أوقاف الكنائس ، وأصبح يأخذ النصف من الثمن ، وهرب جماعة من منازلهم خوفاً من الغرم والمصادرة ، ولما شاهد النصارى تفاقم الحال والهلاك الواقع بوقف تنيس ، عدل بعضهم بعضاً واتفقت كلمتهم ورجعوا إلى كنيسة واحدة[1] .

وثار المسلمون بمدينة عسقلان[2] في عهد بطريركيته وهدموا كنيسة مريم الخضراء ، ونهبوا ما فيها ، وأعانهم اليهود حتى أحرقوها ففر أسقف عسقلان إلى الرملة وبقي بها حتى مات[3] ، ولا نعلم سبب حرق المسلمين لهذه الكنيسة ، ولكن الباحث كرد علي يشير إلى أن المسلمين كانوا يتعرضون للاضطهاد في بلاد الروم ، فلم يجد ملوك المسلمين واسطة لتخفيف الشر إلا من خلال الضغط على النصارى في ديارهم[4] .

ولكن هذا لا يحتم بأن جميع الأعمال التي تقع ضد النصارى يكون لحكام المسلمين يدٌ فيها ، ويبدو إن سبب اشتراك اليهود مع المسلمين بمهاجمة الكنائس وحرقها هو أنهم أقلية في مجتمع غالبيته العظمى من المسلمين ، إذ يظهر أنهم شاركوا المسلمين ذلك ليحافظوا على أنفسهم وممتلكاتهم ، ويظهرون مساندتهم للمسلمين ، إذ من المعروف أن اليهود ليس لديهم من يطالب بحقوقهم أو يدافع عنهم كما هو الحال مع النصارى الذين لديهم دول وممالك تطالب وتفاوض وتساوم على حقوقهم ووضعهم الديني والاجتماعي.

---

(1) الأنطاكي ، صلة تاريخ اوتيخا ، ص26-27 ؛ المقريزي ، القول الابريزي ، ص108 .

(2) عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وجبرين يقال لها : عروس الشام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص122 .

(3) المقريزي ، القول الابريزي ، ص108 ؛ الخطط ، ج4 ، ص412 .

(4) محمد عبد الرزاق بن محمد ، خطط الشام ، ط3(دمشق : مكتبة النوري ، 1403هـ/1983م) ، ج6 ، ص10.

ثامناً. مؤلفاته :

ترك ابن البطريق آثاراً علمية متنوعة ، منها في الطب والتاريخ ، فضلاً عن علوم النصارى وتواريخهم ، وهذه المصنفات هي :

1. كتاب في الطب يسمى علم وعمل كناش (وهي مجموعة شاملة للشؤون الطبية[1] .
2. كتاب الجدل بين المخالف والنصراني[2] ، وهو كتاب مفقود[3] .
3. كتاب نظم الجوهر أو (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ، ثلاث مقالات ، كتبه إلى أخيه عيسى ابن البطريق المتطبب في معرفة صوم النصارى وفطرهم وتواريخهم وأعيادهم وتواريخ الملوك المتقدمة ، ولهذا الكتاب نسخ متعددة في مكتبات باريس ورومية (روما) وبتروغراد ، ومنه نسخة في مكتبة الموارنة في حلب ، وقد طبع عام 1323هـ/1906م[4] ، وقد ذيل هذا الكتاب نسيب سعيد يقال له : يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي (ت458هـ/1066م) وسماه كتاب تاريخ الذيل[5].

تاسعاً. كتابه (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق)[6] :

أ. وصف الكتاب :

ألف ابن البطريق هذا الكتاب المسمى بـ(نظم الجوهر) ويعرف أيضاً (التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق) ، المشهور بتاريخ ابن البطريق ، وابتدأ به منذ عهد آدم عليه السلام إلى زمانه وبالتحديد حتى عام 326هـ/938م ، ويُعد من كتب التاريخ النصرانية المهمة[7] .

---

(1) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص545 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص191 .
(2) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص546 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص191 .
(3) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص4 .
(4) المصدر نفسه ، ص4 .
(5) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص191.
(6) (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ، 1323هـ/1905م) ، في ثلاثة أجراء .
(7) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص4 .

وقد ألفه لأخيه عيسى بن البطريق المتطبب في معرفة وذكر أيام الملوك والخلفاء المتقدمين ، وذكر البطارقة وأحوالهم ومدة حياتهم ومواضعهم وما جرى لهم في ولايتهم ، فضلاً عن معرفة صوم النصارى وأعيادهم وتواريخهم[1] .

أما عن سبب تأليفه لهذا الكتاب فيذكر ابن البطريق ذلك في مقدمة كتابه قائلاً : " إنه كل من أراد أن يتكلم في معرفة علم من العلوم فينبغي أن يكون بأصل ذلك العلم عالماً ، وقد اختلف الناس في التاريخ اختلافاً متبايناً كثيراً ، والذي صح عندي من ذلك بعد بحث طويل وتعب كثير ورجوعي إلى الكتب الصحيحة ، سوف اشرح التاريخ شرحاً كافياً وأضمنه أخباراً وجيزة مختصرة حتى يكون كتابي هذا مكتفياً بنفسه عن أن يرجع إلى أحدٍ في علم شيء من التاريخ مستغنياً "[2] .

وتناول فيه عهد الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدين ذاكراً الفتوحات في عهد كل منهم ، وكذلك تناول أخبار الخلفاء الأمويين والعباسيين حتى خلافة الراضي بالله (322-329هـ/934-941م) متناولاً الأحداث التي حصلت في عهد كل خليفة منهم ، فضلاً عن ذلك ذكره لأخبار ملوك الروم وتولية ووفاة كل منهم ، كما لم يهمل أخبار البطارقة وغيرها من الأحداث .

ب. منهجه :

أتبع سعيد بن البطريق منهج المؤرخين في تأليف كتابه ، إذ رتبه على النظام الحولي ، وفيما يأتي وصف لجزء من منهجيته :

1. عدم إهماله الكتب والمراسلات بين الخلفاء والأمراء ، مثلاً عن كتاب خالد ابن الوليد لأهل دمشق عند فتحها يقول : " إني قد أمنتكم على دمائكم وديباركم وأموالكم وكنائسكم ألا تهدم ولا تسكن وتسلم عليكم "[3] .

---

(1) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص546 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 .

(2) التاريخ المجموع ، ص5 .

(3) المصدر نفسه ، ص15 .

2. ذكره الأحداث السياسية والعسكرية فإنه لا يهمل ذكر وقوع بعض الكوارث ، مثلاً يقول : " وقع بفلسطين وبيت المقدس جوع شديد وجراد كثير فمات الناس من الجوع "[1] .
3. دقته في نقل الرواية ، إذ أنه يحدد الزمان والمكان ، مثلاً عن وفاة الرسول ﷺ يقول : " وفي السنة الحادية عشر من ملك هرقل توفي محمد بن عبد الله نبي المسلمين يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول لسنة إحدى عشر من الهجرة ودفن في بيته في المدينة "[2] .
4. عدم إهماله أخبار البطارقة من تنصيب وعزل ، إذ يقول مثلاً : " وفي أول خلافة عمر بن الخطاب صيَّر جرجيوس بطريكاً على الإسكندرية أقام أربع سنين "[3] .
5. يشير إلى أنه لم يستطع الحصول على بعض المعلومات التاريخية ، فمثلاً يقول : " ولم يقع إليَّ أسماء بطاركة القسطنطينية منذ مات ثاودروس إلى أن وضعت هذا الكتاب وكذلك بطاركة رومية "[4] .
6. يذكر الرواية التاريخية دون الإشارة إلى مصدرها ، فمثلاً عن وفاة الخليفة العباسي هارون الرشيد يقول : " ورد خبر نعي الرشيد إلى بغداد يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقين من جمادى الآخرة "[5] .
7. عدم إهماله ذكر أخبار ملوك الروم من عزل وتولية وغير ذلك ، فمثلاً يقول : " فأما الروم لما مات لاون الملك واضطرب عليهم أمر مملكتهم ملكوا عليهم رجل من أهل مرعش يقال له : أرطابطوس "[6] .

---

(1) التاريخ المجموع ، ص55 .
(2) المصدر نفسه ، ص7 .
(3) المصدر نفسه ، ص12 .
(4) المصدر نفسه ، ص49 .
(5) المصدر نفسه ، ص53 .
(6) المصدر نفسه ، ص48 .

عاشراً. وفاته :

توفي سعيد بن البطريق يوم الاثنين سلخ[1] رجب من عام 328هـ/940م[2] ، وكان قد اعتل بمصر بمرض الإسهال ، ولأنه كان عارفاً ومتميزاً في الطب أحس إنها علة موته ، فصار إلى كرسيه بالإسكندرية وأقام به أياماً عديدة عليلاً إلى أن توفي[3] ، ولم تتطرق المصادر إلى مكان دفنه وكيف دفن ، ولكن يبدو أنه دفن في الإسكندرية لأنها كانت مكان عمله فضلاً عن أن وفاته كانت بها .

(1) سلخ : سلخنا الشعر نسلخه سلخاً وسلوخاً أي خرجنا منه وصرنا في آخر يومه . ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت711هـ/1311م) ، لسان العرب ، ط3(بيروت : دار صادر ، 1414هـ/1993م) ، ج3 ، ص25 .

(2) الأنطاكي ، صلة تاريخ أوتيخا ، ص23 ؛ المقريزي ، القول الابريزي ، ص107 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص529

(3) ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص545 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج15 ، ص127 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص191 .

المبحث الثالث

ساويرس بن المقفع (ت نحو نهاية ق4هـ/10م)

أولاً. اسمه وكنيته :

هو ساويرس ولم تشر مصادر ترجمته إلى غير ذلك[1] ، ويكنى بأبي بشر ولم يعرف بكنية غيرها[2] .

ثانياً. لقبه :

اشتهر أبو بشر ساويرس بلقب ابن المقفع[3] ، وهو لقب والده فعرف هو به أيضاً[4] ، وهناك من يذكر أن كلمة المقفع[5] ترجع إلى الكلمة المصرية (قفة) وهي تطلق على وعاء من الخوص أو حبال ليف النخل يصنعنه الفلاحون[6] ، وربما كان والده يمتهن هذه المهنة فعُرف بها .

---

(1) أيسيذورس ، الأنبا ، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ، (المنامة : طبعه القمص ارسانيوس المحرق ، د.ت) ، ج2 ، ص236 ؛ رستم ، رسمي عبد الملك وآخرون ، دراسات قبطية ، مجلة معهد الدراسات القبطية ، (القاهرة : المجلد السابع ، 1428هـ/2008م) ، ص53 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص199 ؛ يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص379 .

(2) خليل ، سمير ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لساويرس ابن المقفع (ت نهاية ق4هـ/10م) ، (القاهرة : دار العالم العربي ، 1397هـ/1978م) ، ص9 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص17 .

(3) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص199 ؛ أيسيذورس ، الخريدة النفيسة ، ج2 ، ص236 ؛ عبد المسيح ، يسي ، رسالة مارينا السادسة عشر في الدراسات القبطية ، ط2(الإسكندرية : طبع في جمعية مارمينا العجايبي ، 1418هـ/1998م) ، ج2 ، ص150 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص17 .

(4) خليل ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لابن المقفع ، ص7 .

(5) المقفع : أي المنكس الرأس دائماً أو من كانت يده متشنجة . ابن منظور ، لسان العرب ، ج8 ، ص288 .

(6) ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت458هـ/1066م) ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط1(بيروت : دار الكتب العلمية ، 1421هـ/2000م) ، ج1 ، ص236 ؛ الزبيدي ، أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت1205هـ/1790م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، (الرياض : دار الهداية ، د.ت) ، ج22 ، ص58-59.

ثالثاً. ولادته :

لا نعرف الكثير عن تاريخ ولادة ابن المقفع التي كانت محط خلاف بين المؤرخين ، فبعضهم أشار إلى أنه ولد ما بين عامي 292-302هـ/905-915م[1] ، وأشار البعض الآخر بأنها كانت بحدود 303/915م[2] ، ولكن أغلب المصادر لم تحددها ، ولا يُعرف الكثير عن حياته سوى أنه من مؤرخي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[3] ، لذلك يمكن القول بأن كل ما ذُكر عن تاريخ ولادته هو مجرد استنتاجات ، ودليل ذلك بأن الباحث جورج قنواتي أشار أن كل ما نعلمه عن تاريخ حياته هو عام 343هـ/955م ، إذ أعاد فيها تأليف كتابه (تفسير الأمانة) ، وعام 367هـ/987م حينما ساهم في تحرير الرسالة المجمعية إلى بطريك السريان فيلوتبوس (393-368هـ/979-1003م)[4] .

رابعاً. نشأته وتعلمه :

لا يُعرف إلا القليل عن نشأته ، إذ لم يذكر المؤرخون اسم الدير الذي ترهب فيه ولا شيئاً عن حياته الرهبانية[5] ، وكان قد عمل كاتباً في أحد دواوين الدولة الاخشيدية (323-358هـ/934-968م) ثم ترك مركزه ليترهب ، وبعد ذلك أُختير أسقفاً على كرسي (الأشمونين[6])[7] ، وتميز بالعلم والتقوى ، وقضى حياته في البحث والتأليف والترجمة[8] ، وجمع بين العلوم الدينية والدنيوية[1] ، ويعد من المؤلفين الأقباط الذي

---

(1) رستم ، دراسات قبطية ، ص53 .

(2) خليل ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لابن المقفع ، ص7 .

(3) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص17 ؛ معوض ، صموئيل قزمان ، كتاب تاريخ البطاركة باللغة العربية ، مجلة مدرسة الإسكندرية ، (الإسكندرية : العدد الثالث ، 1431هـ/2010م) ، ص220 ؛ عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص151 .

(4) المسيحية والحضارة العربية ، ص199 .

(5) عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص151-152 .

(6) الأشمونين : أشمون هي مدينة قديمة من مدن مصر ، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غرب النيل ذات بساتين ونخل كثير ، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص200 .

(7) رستم ، دراسات قبطية ، ص53 ؛ عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص152 .

(1) رستم ، دراسات قبطية ، ص53 .

استعملوا اللغة العربية في كتب لها أصالة مرموقة[2] ، وكانت له أيضاً معرفة بالفلسفة اليونانية والعربية وعلم الكلام ، كما أنه كان يلجأ أحياناً إلى الطب لتوضيح بعض الأمور[3] .

ومن الأمور التي عُرف بها ابن المقفع هي مجادلاته العلماء من الديانات الأخرى ، إذ كان صديقاً مقرباً من البابا أبرام بن زرعة السرياني[4] (364-368هـ/975-979م) وكانا يترددان سوياً إلى بلاط المعز لدين الله الفاطمي[5] (341-365هـ/952-975م) ، الذي كان يدعوه للمناظرة مع العلماء ولاسيما اليهود في بلاطه[6] ، ويشير ابن المقفع في كتابه إلى مناظرة جرت بينه وبين صديق الوزير يعقوب بن كلس اليهودي[7] يدعى موسى في حضرة الخليفة المعز ، إذ يذكر قائلاً : " طلب موسى من المعز لدين الله أن يحضر بطريك النصارى ليجادله بين يديه ، فلم يواجه المعز البطريك بذلك ولا عرضه لمجادلة اليهودي ، لكن قال له : إن رأيت أن تحضر أحد أولادك الأساقفة يجادل

---

(2) خليل ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لابن المقفع ، ص8 .

(3) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص199 .

(4) خليل ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لابن المقفع ، ص8 .

(5) هو أبرام ، وقيل : افرهام السرياني المعروف بابن زرعه البطريك الثاني والستون في الإسكندرية ، وهو من مصر كان يعمل بالتجارة ، وكان له صدقات على الأرامل والمساكين والضعفاء ، أُختير بطريكاً عام 364هـ/975م دون أن تكون له رغبة في هذا المنصب وقيدوه بالحديد وهو يصرخ ويقول : لا استحق هذا الأمر ، وحُمل إلى الإسكندرية ونُصب بطريكاً . ابن المقفع ، تاريخ البطاركة ، ج2 ، ص76 .

(6) هو أبو تميم الملقب بالمعز لدين الله بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله ، بويع بولاية العهد في حياة أبيه المنصور ثم جددت له البيعة بعد وفاته ، وكانت ولادته بالمهدية عام 319هـ/930م ، توفي بالقاهرة عام 365هـ/975م . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف : شعيب الارناؤوط ، ط3(بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1405هـ/1985م) ، ج15 ، ص159 ؛ ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت874هـ/1469م) ، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز احمد ، (القاهرة : دار الكتب المصرية ، د.ت) ، ج1 ، ص268 .

(7) عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص156 .

(8) هو أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود بن كلس وزير الخليفة الفاطمي العزيز نزار ابن المعز العبيدي ، كان يعقوب أولاً يهودياً وكان قد ولد ببغداد ونشأ بها عند باب القز وتعلم الكتابة والحساب وسافر إلى الشام مع والده ومن ثم إلى مصر عام 331هـ/942م ، ثم اسلم عام 356هـ/966م ، توفي عام 380هـ/990م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج7 ، ص27 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج28 ، ص86-87 .

اليهودي فأفعل ، وكان من جملة الأساقفة الحاضرين ابن المقفع فطلب منه ، فجادل ذلك اليهودي واستطاع التغلب عليه "[1] .

خامساً. مؤلفاته :

كان لابن المقفع آثار علمية متنوعة ، ويشير القس منسي يوحنا أن ساويرس له جملة من المؤلفات القبطية واليونانية لفائدة أبناء جلدته لاسيما سكان الفسطاط والقاهرة الذين قد هجروا لغتهم القبطية بسبب انشغالهم بالدواوين[2] ، ولأنه قضى حياته في البحث والتأليف والترجمة فقد ترك عدداً كبيراً من المؤلفات تزيد على العشرين كتاباً في العقائد والطقوس والرد على الهرطقات وغيرها[3] ، ومن هذه المؤلفات :

1. كتاب التوحيد[4] .
2. كتاب الاتحاد الباهر في الرد على اليهود[5] .
3. الشرح والتفصيل رد به على نسطور وشيعته[6] .
4. مبادئ الدين ، كتبه للوزير قزمان بن مينا ، أُعد هذا الكتاب للطبع ولم ينشر[7].
5. نظم الجوهر في الرد على القول بالقضاء والقدر ، مخطوطة في المكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين في بيروت برقم (589)[8] .
6. في الاستبصار وهو مصباح العقل ، مطبوع ، القاهرة 1397هـ/1978م[9] .
7. كتاب المجالس[10] .
8. طب الفم وشفاء الحزن[1] .

---

(1) تاريخ البطاركة ، ج2 ، ص77 .

(2) تاريخ الكنيسة القبطية ، ص380 .

(3) رستم ، دراسات قبطية ، ص53 .

(4) عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص163 .

(5) المصدر نفسه ، ص163 .

(6) المصدر نفسه ، ص163 .

(7) أيسيذورس ، الخريدة النفيسة ، ج2 ، ص236 .

(8) خليل ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لابن المقفع ، ص26 .

(9) المصدر نفسه ، ص26 .

(1) أيسيذورس ، الخريدة النفيسة ، ج2 ، ص236 .

9. المجامع[2] .
10. كتاب الرد على سعيد بن البطريق ، مطبوع عام 1322هـ/1905م[3] .
11. ترتيب الكهنوت وهو الأنباء طقوس الكنيسة ، مطبوع في القاهرة عام 1374هـ/1955م[4] .
12. في أختلاف الفرق ، مطبوع في مطبعة المطران بطرس كامل مدور في دمشق[5] .
13. المثاليات والرموز[6] .
14. البيان المختصر في الإيمان ، مطبوع ، نشره : سمير خليل عام 1396هـ/1976م في بيروت[7] .
15. الدر الثمين في إيضاح الاعتقاد بالدين ، مطبوع عام 1392هـ/1972م في روما[8] .
16. تفسير الأناجيل المقدسة[9] .
17. شروح أصول الدين وترتيب الخدمة والبخور[10] .

18. إيضاح الاتحاد والقول على تجسد الرب ، مطبوع في القاهرة عام 1343هـ/1925م[11] .

---

(2) المرجع نفسه ، ج2 ، ص236 .
(3) عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص163 .
(4) المرجع نفسه ، ج2 ، ص164 .
(5) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص17 .
(6) أيسيذورس ، الخريدة النفيسة ، ج2 ، ص237 .
(7) عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص165 .
(8) المرجع نفسه ، ج2 ، ص165 .
(9) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص17 .
(10) عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص165 .
(11) المرجع نفسه ، ج2 ، ص165 .
(1) عبد المسيح ، رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص165 .

19. السِّير ، مطبوع في بيروت عام 1321-1322هـ/1904-1905م[1] .
20. تفسير الأمانة الأرثوذكسية ، مطبوع في المجموعة الابائية الشرقية ، طبعة الأب لوراده عام 1328هـ/1910م[2] .

سادساً. كتاب تاريخ البطاركة لابن المقفع :

أ. وصف الكتاب :

لا يمكن نسبة هذا المصنف إلى ابن المقفع وحده ، فالمعروف إن هذا المصنف لم يشترك فيه مؤلف واحد بل شارك فيه مؤلفين عديدين من عصور مختلفة ، أي بعبارة أخرى إن أحدهم أكمل ما بدأ به سابقه من المؤلفين[3] .

ويُعد هذا المصنف أهم وثيقة نصرانية باللغة العربية تؤرخ للكنيسة القبطية ، ويتميز بالدقة في سرد الأحداث لاسيما إن الكثير من مؤلفيه كانوا شهود عيان لكثير من الأحداث[4] .

تناول سير بطاركة الإسكندرية من القديس مرقس الرسول إلى البابا كيرلس الخامس ، أي منذ منتصف القرن الأول الميلادي إلى ما بعد نهاية العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م) ، وهو لا يؤرخ فقط لتاريخ البطاركة ، بل يتخذ منهم محوراً تدور حوله الأحداث ، ثم يشير إلى الأحداث المتعلقة بالكنيسة والقساوسة المعاصرين لهذا البطريك ، فضلاً عن ذلك فإنه يتحدث عن الخلفاء والولاة المسلمين المعاصرين للبطريك صاحب الترجمة ، فضلاً عما وقع من كوارث وأحداث لاسيما في بلاد مصر .

ويذكر ابن المقفع عن تأليفه للكتاب وجمعه للمعلومات من الأديرة والكنائس وكيف قضى ثمانية أعوام في البحث عن مصادر تاريخه ، إذ تحدث عن طريقة جمعه لمادة كتابه قائلاً : " فوجدت في دير السيدة بنهيا منها سيرة اثنين وأربعين بطريكاً من

---

(2) المرجع نفسه ، ج2 ، ص164 .
(3) خليل ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لابن المقفع ، ص26 .
(4) أنظر : ملحق رقم (2) .
(5) معوض ، كتاب تاريخ البطاركة باللغة العربية ، ص217 .

مارمرقس الإنجيلي إلى سيمون ، ووجدنا في دير الشهيد الجليل تادرس[1] سيرة أربعة بطاركة ، ووجدنا في دير نهيا[2] سيرة تسعة بطاركة ، وكذلك في دير أبي مقار سيرة عشرة بطاركة "[3] .

وبوساطة ما تقدم يتضح بأنه جمع معلومات كتابه من مواضع مختلفة ، وبذل جهداً كبيراً من أجل إتمام عمله .

ب. منهج الكتاب :

أتبع مؤلفو الكتاب منهجاً خاصاً بوساطة اتخاذه البطاركة محوراً أساساً تدور حوله الأحداث ، وفيما يأتي وصف لجزء من منهجه :

1. كان يميل إلى الاختصار ويبتعد عن سرد ما ليس له علاقة بالموضوع ، ويشير إلى ذلك إذ يقول : " وكان يستعمل الناس مثل فرعون في زمانه وأشياء كثيرة فعلها تضيق السيرة عن شرحها خوفاً من التطويل "[4] .
2. حوى الكتاب بعضاً من الخرافات والأساطير ، فمثلاً يقول : " كان أحد الأشخاص من أهالي سمنود أصابته علة ولم يعتقد أحد أن يبرأ فرأى إنساناً في منامه عظيم المجد قال له : قد أنعمت عليك بالعافية لأجل مرقس الانجيلي فامضِ وكلما يأمرك به أفعله وصعد الرب إلى السماء ، فاستيقظ المريض من الرؤيا وهو معافى "[5] .
3. أورد بعضاً من رواياته كشاهد عيان ، مثلاً عندما أصدر البطريك شنودة كتاباً بحق أحد الأشخاص يسمح له بتناول القربان ، قائلاً : " فقلت أنا الحقير كاتب هذه السيرة إلى البطرك يا أبي كيف فعلت هذا وكان غير مستحق؟ "[6] .

---

(1) دير تادرس : هو أحد الأديرة الواقعة في الجانب الغربي من نهر النيل بمصر ، وقد تلاشى أمره فيما بعد لأتضاع حال النصارى . المقريزي ، القول الابريزي ، ص165 .

(2) دير نهيا : وهو من أحسن الديارات بمصر ويقع بالجيزة ، وكان من أنزه الأديرة وأطيبها موقعاً عامراً برهبانه وسكانه . المقريزي ، القول الابريزي ، ص160 .

(3) تاريخ البطاركة ، ج2 ، ص134-135 .

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص117 .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص102 .

(1) تاريخ البطاركة ، ج2 ، ص44 .

4. عند ذكره لرواية معينة يذكر مصدره فيها ، إذ يشير إلى ذلك بقوله : " وذكر الشيخ علم الكفاة أبو يحيى اصطفن ابن مينا التوريجي الكاتب أنه مضى مع عماله "[1] .
5. يستخدم مؤلفو الكتاب الإحالة أحياناً إلى تفاصيل موضوع ما إلى موضع آخر من الكتاب ، فعن الدولة الأيوبية ذكر مثلاً : " وسنذكر ونشرح أخبار المملكة وكيف كان زوال الدولة وفتوح بيت المقدس ومدن الساحل ... مبيناً مشروحاً فيما بعد إن شاء الله "[2] .
6. يعتمد على وثائق وكتب صادرة من جهة الخلفاء والولاة ومن سواهم ، فقد أورد الكتاب بين صلاح الدين وابنه الملك العزيز ومن ثم إلى ولاة الحروب يقول مثلاً : " بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ... كتابنا هذا وارد على الأمير الأجل الأسفهسلار ... "[3] .
7. أحياناً يذكر الرواية أو الأحداث التاريخية التي تستمر لعدة سنوات في سنة واحدة دون قطعها ، فعن فتوحات صلاح الدين يقول مثلاً : " كان ينبغي أن يكون ما جرى من أحداث موزعة على أربع سنين ولكن قادتنا الضرورة لإيرادها متصلة لأن فتوحاته وحروبه كانت متصلة بعضها ببعض "[4] .

سابعاً. وفاته :

لم تذكر المصادر سنة محددة لوفاة ساويرس بن المقفع ، إذ يذكر لويس شيخو أنها كانت في أواخر القرن العاشر الميلادي[5] ، وبما أن المصادر ذكرت أن ولادته كانت محصورة بين (302-292هـ/905-915م)[6] ، ويرى المؤرخ النصراني يسي عبد

---

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص126 .
(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص48 .
(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص58 .
(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص80 .
(1) المخطوطات العربية ، ص17 .
(2) رستم ، دراسات قبطية ، ص53 ؛ خليل ، مقدمة تحقيق كتاب مصباح العقل لابن المقفع ، ص7 .

المسيح أنه عاش ما يقارب الثمانين عاماً ، لأن الكنيسة كانت تحافظ على القوانين التي تحتم ألا يقل عمر الأسقف أو البطريك عند رياسته عن خمسين عاماً ، وإن ابن المقفع بقي في أسقفيته ما يقارب اثنين وثلاثين عاماً[1] ، وبذلك يمكننا القول بناءً على ذلك بأن وفاته كانت في نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي .

المبحث الرابع

هلال الصابي (ت448هـ/1056م)

أولاً. اسمه وكنيته :

هو هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال[2] بن إبراهيم بن زهرون بن حبون[1] ، ولم نجد في المصادر ما يشير إلى غير ذلك ، ويكنى بأبي الحسين[2] ، وقيل : أبو

---

(3) رسالة مارينا السادسة عشر ، ج2 ، ص152-153 .

(1) الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي (ت463هـ/1070م) ، تاريخ بغداد، تحقيق : بشار عواد معروف ، ط1(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1422هـ/2002م) ، ج6 ، ص117 ؛ ابن

الحسن[3] ، في حين أنفرد ابن كثير (ت774هـ/1372م) عن المصادر الأخرى وكناه بأبي الخير[4] .

ثانياً. لقبه :

اشتهر هلال بن المحسن بألقاب عديدة أشهرها الصابي[5] نسبة إلى ديانته التي كان يعتقدها في بداية حياته قبل اعتناقه الإسلام[1] ، ولقب بـ(الحراني[2])[3] نسبة إلى مدينة (حران[4])[5] ، ولقب أيضاً بـ(الكاتب)[6] ، و (الرئيس)[7] .

القلانسي ، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت555هـ/1160م) ، ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق : سهيل زكار ، ط1(دمشق : دار حسان للطباعة والنشر ، 1403هـ/1983م) ، ص11 ؛ أبو البركات الانباري ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري (ت577هـ/1181م) ، نزهة الالباء في طبقات الأدباء ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، ط3(الزرقاء : مكتبة المنار ، 1405هـ/1985م) ، ص256 ؛ ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ/1200م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1(بيروت : دار الكتب العلمية ، 1412هـ/1992م) ، ج16 ، ص13 .

(2) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1414هـ/1993م) ، ج6 ، ص2783 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص101 ؛ ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي أبو الفلاح بن احمد بن محمد العسكري (ت1089هـ/1678م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : محمد الارناؤوط ، ط1(دمشق : دار ابن كثير ، 1406هـ/1986م) ، ج5 ، ص207 .

(3) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج16 ، ص117 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ سبط بن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلي بن عبد الله (ت654هـ/1255م) ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق وتعليق : محمد بركات وآخرون ، ط1(دمشق : دار الرسالة العالمية ، 1434هـ/2013م) ، ج18 ، ص513 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج30 ، ص196 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1383هـ/1963م) ، ج5 ،ص60 ؛ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص207 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج8 ، ص92.

(4) أبو البركات الانباري ، نزهة الالباء ، ص256 ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص1783 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص101 .

(5) أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي(ت774هـ/1374م) ،البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط1(بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1408هـ/1988م) ، ج12 ، ص88 .

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص11 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص2783 ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص513 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص101 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج30 ، ص196 .

ثالثاً. ولادته :

ولد هلال الصابي في بغداد في شهر شوال[8] عام (359هـ/970م)[9] .

رابعاً. نشأته وتعلمه :

نشأ هلال الصابي في بغداد ، وكان أبوه المحسن صابئياً[10] ، وأمه أخت الطبيب المشهور (ثابت بن سنان بن قرة[11])[1] ، سمع من العلماء قبل إسلامه لأنه كان يطلب

---

(2) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص513 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص88 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص60 .

(3) هكذا أشتهر ولكن الأصح (الحرناني) لأن النسبة الى حران للعاقل حرناني وغير العاقل حراني . الزبيدي ، تاج العروس ، ج10 ، ص584 .

(4) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص2783 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص101 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص207 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج8 ، ص92 .

(5) حران : مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور ، وهي قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم ، وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم ، وكانت منازل الصابئة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص235 .

(6) سركيس ، معجم المطبوعات ، ج2 ، ص179 ؛ إسماعيل باشا البغدادي ، محمد بن أمين بن مير سليم (ت1339هـ/1920م) ، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، عُني بتصحيحه : محمد شرف الدين ورفعت بيلكه الكليسي ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت) ، ج4 ، ص271 .

(7) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج16 ، ص117 ؛ أبو البركات الانباري ، نزهة الالباء ، ص256 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص2783 ؛ سبط بن الجوزي، مرآة الزمان ، ج18 ، ص513 .

(8) عواد ، ميخائيل ، كتاب رسوم دار الخلافة لهلال بن المحسن الصابي ، مجلة الرسالة ، (القاهرة : العدد362 ، 1359هـ/1940م) ، ص977 .

(9) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج16 ، ص117 ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص2785 ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص515-516 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص106.

(10) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج30 ، ص196 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص60 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص207 .

(1) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج16 ، ص117 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص513 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص88 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص207 .

(2) هو أبو الحسن بن ثابت بن سنان بن قرة بن مروان الصابئ الطبيب المؤرخ ، كان أديباً بارعاً وله كتاب التاريخ الذي ابتدأ به من أول أيام الخليفة المقتدر ، توفي لأحد عشر ليلة خلت من ذي العقدة

الأدب[2] ، تربى بحُجر والده الأديب وخاله ثابت فأخذ عنهما العلوم والآداب ، وأصبح من الفصحاء ، وله الكلام المليح ، والنثر الفصيح ، والملح والنوادر ، والفضائل والفواصل[3] ، عمل هلال في دار الخلافة العباسية ببغداد ، فعرف نواحيها ورسومها وأسرارها ، وبرع في آداب الخلفاء ومجالسهم[4] ، وعاش مدة تاريخية مهمة جداً عاصر أحداثها وعرف أخبارها عن كثب وبشكل وثائقي ، فقام بتدوينها في عدد من كتبه[5] .

خامساً. توليه ديوان الإنشاء :

كان جد هلال الصابي أبو إسحاق الصابي[6] يتقلد الأعمال الجليلة في ديوان الرسائل ، فرأى في حفيده هلال سمات النجابة والذكاء فدربه في فنون الكتابة[7] ، فلما توفي أبو إسحاق عام 348هـ/994م تقدم هلال في ديوان الإنشاء وترقى حتى قيل : إن جده لم يمت[8] ، وعُين كذلك كاتباً لأسرار فخر الملك البويهي[1] ، الذي ترك له مبلغاً

عام 365هـ/975م . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج2 ، ص772 ؛ ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ص304 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص314 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج8 ، ص211 ، وقال : أنه توفي عام 363هـ/973م .

(3) عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص977 ؛ شيخو ، هلال الصابي وتأليفه ، مجلة المشرق ، (بيروت : العدد10 ، 1331هـ/1913م) ، ص467 .

(4) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج16 ، ص117 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص513 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص101.

(5) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص513 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص101.

(6) عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص977 .

(7) سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص515 ؛ شيخو ، هلال الصابي وتأليفه ، ص467 .

(1) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الحراني أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل والاشتمال على جهات الفضائل ، كان مولده عام 313هـ/925م ، وقد خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء ، وتقلد الأعمال الجليلة ، توفي يوم الخميس لاثني عشر ليلة خلت من شوال عام 383هـ/994م . ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج1 ، ص130 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج1 ، ص52 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج8 ، ص554 .

(2) شيخو ، هلال الصابي وتأليفه ، ص467 ؛ عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص977 .

(3) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص11 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج8 ، ص92 ؛ شيخو ، هلال الصابي وتأليفه ، ص467 .

كبيراً من المال عند وفاته ، غير أن هلال امتنع عن التصرف فيه ، لأنه كان يتقاضى ما يُمكنه من العيش من الدولة فترك الإرث لأبنه غرس النعمة[2] .

سادساً. إسلامه :

كان هلال الصابي في أول حياته على ديانة والده الصابئية[3] ، ثم أسلم متأخراً[4] لكن محقق كتاب رسوم دار الخلافة ميخائيل عواد يقول : إنه أسلم في حدود عام 403هـ/1012م[5] ، أي أسلم وله من العمر أربع وأربعون عاماً ، ومعنى ذلك أنه كان في أواسط عمره وليس متأخراً .

ويذكر ابن الجوزي (ت597هـ/1200م) قصة إسلامه بوساطة محمد بن نبهان سبط هلال الصابي مطولاً قائلاً : إنه كان قد رأى الرسول ﷺ في المنام مراراً يدعوه إلى الله عز وجل ، ويأمره باعتناق الإسلام ، ويقول له : أنت رجل عاقل فلم تدع دين الإسلام الذي قامت عليه الدلائل ، وبشره بولده محمد الذي سوف يولد[6] .

سابعاً. مؤلفاته :

---

(4) هو فخر الملك أبو غالب محمد بن علي بن خلف وزير بهاء الدولة نصر بن عضد الدولة بن بويه ، ثم وزر لولده سلطان الدولة أبي شجاع ، توفي عام 407هـ/1016م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص124 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج17 ، ص282 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج6 ، ص274 .

(5) عواد ، مقدمة تحقيق كتاب رسوم دار الخلافة لهلال الصابي (ت448هـ/1056م) ، (القاهرة : دار الآفاق العربية ، 1424هـ/2003م) ، ص14 .

(6) الصابئة : هي إحدى الديانات المنتشرة في مدينة حران والتي كانت تعبد الكواكب ، وقيل : هي غير الصابئة الذين ذكرهم القرآن ، لأن صبا بمعنى خرج من شيء إلى شيء ، وخرج من دين إلى غيره أي الخارجون عن عبادة الأوثان . علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط4(بيروت : دار الساقي ، 1422هـ/2001م) ، ج12 ، ص277-278 .

(7) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج16 ، ص117 ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ،ج6 ، ص2783 ؛ سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج18 ، ص513 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج30 ، ص169 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص60.

(1) مقدمة تحقيق رسوم دار الخلافة ، ص9 .

(2) المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج12 ، ص88 .

وضع هلال الصابي طائفة من المصنفات الجليلة في بحوث متنوعة ، أتت على أغلبها يد الزمان العاتية فلم يسلم منها إلا النزر اليسير[1] ، وقد اقتصرت المصادر على ذكر بعض من مؤلفاته ، وهي :

1. كتاب الأمثال والأعيان ومنتدى العواطف والحسان[2] ، وهو نفسه كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ولم يبقَ منه إلا ما نُشر ، بيروت ، 1419هـ/1998م[3] .
2. كتاب التاريخ ، ذيل به تاريخ خاله ثابت بن سنان ، طبع الجزء الثامن منه ويحتوي حوادث السنين من (393-389هـ/998-1022م) ، طهران ، 1421هـ/2000م[4] .
3. غرر البلاغة في الرسائل ، وهو مقتطفات من رسائله الخاصة به[5] .
4. كتاب أخبار بغداد ، وهو تاريخ جليل لمدينة بغداد نقل عنه ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)[6] .
5. كتاب الكتّاب ، وهو يخص كتبة الأسرار والظاهر إنه على غرار مصنف الصولي واسمه على اسمه[7] .
6. كتاب السياسة ، لم يصل إلينا منه شيء[8] .
7. كتاب رسوم دار الخلافة ، مطبوع في بيروت ، 1407هـ/1986م[9] .
8. كتاب مآثر أهله ، يحتوي مآثر الصابئة[10] .

ثامناً. كتابه (تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء) :

---

(3) عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص978 .

(4) حاجي خليفة ، كشف الظنون ،ج2 ، ص1394.

(5) عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص978 .

(6) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ج1 ، ص290 .

(7) القلقشندي ، احمد بن علي بن احمد الفزاري القاهري (ت821هـ/1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، ج9 ، ص290 .

(8) معجم البلدان ، ج2 ، ص251 .

(1) عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص979 .

(2) المصدر نفسه ، ص979 .

(3) الزركلي ، الأعلام ، ج8 ، ص92 .

(4) شيخو ، هلال الصابي وتأليفه ، ص468 .

أ. وصف الكتاب :

لا يُعد هلال الصابي أول من كتب بهذا الشأن ، وإنما كان أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت331هـ/942م) جمع من أخبار وزراء بني العباس ما وقف فيه عند أبي احمد العباس بن الحسن وزير المكتفي بالله (295-289هـ/901-907م) وسماه كتاب الوزراء ، ثم أعقبه أبو بكر الصولي (ت336هـ/958م) فصنف كتاباً في أخبار الوزارة إلى أيامه ، ومن ثم جاء هلال الصابي وأراد أن يتابع أخبار الوزراء الذين تولوا الأمر لبني العباس ، وذكر الفضائل والمناقب والآثار المشهورة لهم[1] .

ويشير في مقدمة كتابه أنه ألف لانقطاع المؤلفين عن ذكر الوزراء[2] ، تناول فيه أخبار وسير الوزراء كابن الفرات[3] ، وعلي بن عيسى[4] ، ومحمد بن علي بن مقلة[5] وغيرهم ، إذ تناول فيه كيفية تقلد كل منهم الوزارة وما حصل من مراسيم ، فضلاً عن من عُزل منهم ، وعدد مرات من تقلد منهم أكثر من مرة كابن الفرات ، ومما أنفرد به هذا الكتاب سعة علم صاحبه الذي جمع من أخبار الوزراء وتفاصيل أحوالهم وتصرفهم في تدبير البلاد وسياسة الأمور ما لم نجد له ذكراً في غيره ، وعُد من اصدق وأوثق الرواة

---

(5) المرجع نفسه ، ص470 .

(6) هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال (ت448هـ/1056م) ، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، وضع حواشيه : خليل منصور ، ط1(بيروت : دار الكتب العلمية ، 1419هـ/1998م) ، ص6

(7) هو أبو الحسن علي بن محمد بـن موسى بن الحسن بن الفرات ، وزير المقتدر بالله وزر له ثلاث مرات ، كان يملك أموالاً كثيرة ، وكان يشغل من ضياعه في كل سنة ألفي ألف دينار ينفقها ، كان مولده عام 241هـ/855هـ ، قتل عام 312هـ/924م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج3 ، ص421 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج14 ، ص474-475 .

(8) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادي الوزير ، وزر غير مرة للمقتدر والقاهر ، كان عديم النظير في فنه ، ولد عام 240هـ/854م ، كان صبوراً على المحن وكثير الصدقات ، مجلسه موفور بالعلماء ، وزر عام 301هـ/913م أربعة أعوام وعزل ، ثم وزر عام 315هـ/927م ، توفي عام 343هـ/945م . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج15 ، ص298-299 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج21 ، ص245 .

(1) هو أبو علي بن الحسين بن مقلة الكاتب المشهور ، كان في أول أمره يتولى بعض أعمال فارس ويجبي خراجها ، وتنقلت أحواله إلى أن استوزره المقتدر بالله عام ست عشرة وثلاثمائة ، وكانت ولادته عام 272هـ/885م ، ولابن مقلة ألفاظ منقولة مستعملة ، توفي عام 328هـ/939م . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج5 ، ص114-115 ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج15 ، ص224 وما بعدها .

وذلك بوساطة إطلاعه على ما في بطون الدفاتر والسجلات التي كان يطلع عليها في أثناء تقلده ديوان الإنشاء[1] .

وفضلاً عن ذلك تحدث عن شارات الوزراء وطعامهم وأرزاقهم وضيافتهم ، ولما كان للوزراء من معاملات متعددة مع كل أنحاء الخلافة نرى المؤلف يفيدنا عن أمور كثيرة جرت أيام الوزراء الذين يصف أحوالهم كأحداث مصر والشام والمغرب وجزيرة العرب وفارس وما له علاقة بتاريخ بني العباس[2] ، وقد ألف هذا الكتاب بأسلوب بسيط خالٍ من الحشو أو التكلف إذ ينتقل القارئ من فائدة إلى مثلها .

ب. منهجه :

أتبع هلال الصابي منهج المحدّثين في معظم رواياته ، وإن كان في بعض الأحيان يذكر الرواية مجردة من المصدر ، لكنه أيضاً يهتم بسلسلة السند على من يثق بهم من شيوخه أو غيرهم من نقل تلك الروايات ، وفيما يأتي وصف جزء من منهجه :

1. دقته في نقله للراوية ، فإنه يذكر سلسلة الإسناد وذلك لتقوية الحجة في نقله لرواية ما ، كقوله : " وصف أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن إسماعيل زنجي قال : حدثني أبو صلح مفلح الأسود ... "[3] .
2. أطلع على الكثير من الوثائق المكتوبة ، ويشير إلى ذلك بقوله : " ووقع في يدي ثبتٌ أخرج من ديوان المغرب في أيام الراضي بالله بما أخذه المحسن بن علي ... "[4] .
3. لا يهمل الكتب والمراسلات بين الخلفاء والوزراء وكذلك الأمراء ، بل يذكرها كقوله : " : وجدت نسخة ما كتبه ابن الفرات عن نفسه إلى ولاة البلاد عند تقلده الوزارة جاء فيه : وقال نعم الله أمير المؤمنين وأطال بقاءه ... "[5] .

---

(2) شيخو ، هلال الصابي وتآليفه ، ص471 .

(3) المرجع نفسه ، ص471 .

(4) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص53 .

(1) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص166 .

(2) المصدر نفسه ، ص173-174 .

4. أمانته في النقل ، إذ يذكر مصادره التي استقى منها أخباره ، ويشير الى ذلك كقوله : " وذكر أبو علي الصولي قال : خرجت يوماً مع أبي العباس ... "[1].
5. يهتم بذكر الطرائف التي حصلت للوزراء ، كقوله : " إن أبا الحسن علي بن عيسى جلس مع الخاقاني في سفينة ، وأراد الخاقاني أن يحيه بتفاحة كانت بيده ويبصق بالماء ، فبصق بوجهه ورمى التفاحة بالماء " [2] .
6. يهتم كثيراً بشاهد العيان في ذكره للرواية التاريخية ، كقوله : " حدث أبو الحسن احمد بن العباس بن الحسن قال : كنت بحضرة الوزير أبي احمد والدي وعنده كُتَّابه ... "[3] .
7. حرص الصابي في رواية معظم أخباره على إتباع طريقة المحدّثين في ذكر أسانيد الروايات ، واستعمل هذا الإسناد بطرق مختلفة عبر بها عن طريق وصول الخبر ، وهذه الطرق هي :

– عن الرواية بالوجادة كقوله : وجدت ، كقوله : " ووجدت عملاً يشتمل على ذكر احمد بن محمد الطائي ... "[4] .

– أيضاً بالوجادة كقوله : رأيت ، كقوله : " ثم رأيت مرة ثانية مُتظلماً من رَسمٍ ثقيل خففه الطائي ... "[5] .
– استعمل في رواية معظم أخباره إجازة السند الموصول كقوله : حدثني ، كقوله : " وحدثني أبو منصور فرخانشاه ... "[6] .
– يستعمل الرواية عند سماعها من شيوخه كقوله : ذكر لي ، كقوله : " ذكر لي أبو القاسم بن زنجي أن أبا الحسن بن الفرات ... "[7] .

---

(3) المصدر نفسه ، ص108 .
(4) المصدر نفسه ، ص205 .
(5) المصدر نفسه ، ص164 .
(6) المصدر نفسه ، ص13 .
(1) تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، ص85 .
(2) المصدر نفسه ، ص151 .
(3) المصدر نفسه ، ص112 .

تاسعاً. كتاب (رسوم دار الخلافة) :

أ. وصف الكتاب :

ألف هلال الصابي هذا المصنف بعد توليه ديوان الإنشاء في دار الخلافة وإطلاعه على الكثير من الأسرار والكتب ، وقد ألفه في خلافة القائم بأمر الله (422-467هـ/1030-1074م) ، وذكر أنه استفاد كثيراً من تأليفه لهذا المصنف من جده أبو إسحاق إبراهيم[1] .

ويشير في مقدمة كتابه إلى سبب تأليفه قائلاً : " ووجدتني قد سمعت من إبراهيم بن هلال جدي ما لم يكن بقي في وقته من يشاركه في كثير من عمله ، وعلل ما وقع الاصطلاح عليه منه ولا بقي الآن من يشاركني وخفت أن تلحق هذه البقية بتلك المواضيع المنسية ، ورأيت الحقوق التي غمرتني بها الخلافة العباسية تقتضي بها العناية أن تنشر "[2] .

وتناول في هذا المصنف كل ما هو خاص بدار الخلافة ، فضلاً عما تحتويه بغداد من مساجد وحمامات وغيرها ، ويمكن عَدّ هذا المصنف كوثيقة فيما يخص نفقات دار الخلافة وما يُصرف على الطعام فضلاً عن الخدم ، ولم يهمل نفقات حتى الخيول والجواري ، ويتطرق فيه أيضاً إلى آداب الخدمة وكيفية دخول دار الخلافة والخروج منها ، وما يتضمنه ذلك من الأمور الأخرى ، حتى أنه تطرق إلى الألقاب التي تكتب بالكتب بين الخليفة والوزراء أو الأمراء ، ولم يترك شاردة ولا واردة في دار الخلافة إلا وتطرق لها .

ويشير في مقدمة كتابه قائلاً : " ما أورده أبواباً أُبين فيها ما كانت الأمور جارية عليه ، وما تأدَّت وآلت على الأيام إليه ، ليعرف من ذلك السالف والأنف والمُتبع والمُبتدع "[3] .

ب. منهجه :

---

(4) عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص979 .
(5) رسوم دار الخلافة ، ص5-6 .
(1) رسوم دار الخلافة ، ص6 .

أتبع هلال الصابي منهج المحدّثين باهتمامه بسلسلة الإسناد ، وإن كان يذكر بعض الروايات مجردة من ذلك عند الاقتراب من عصره ، لأنه يوردها كشاهد عيان ، وفيما يأتي وصف لجزء من منهجه :

1. اهتم كثيراً بسلسلة الإسناد في نقله للرواية التاريخية ، كقوله : " حدث الحسين ابن هارون الضبي القاضي قال :حدثني منصور بن القائم القنائي قال: ..."[1].
2. اهتم بشاهد العيان في إيراد رواياته ، وذلك لتقوية الحجة ، كقوله : " حدثني إبراهيم بن هلال جدي قال : ... "[2] .
3. يذكر بعض الروايات كشاهد عيان ، كقوله : " ولقد شاهدت في أيام صمصام الدولة سنة ست وسبعين وثلاثمائة حضور ... "[3] .
4. يظهر الجانب النقدي لدى الصابي عندما يعلق على بعض الروايات ورفضه لها ، كقوله عن ما ذكر من الحمامات في بغداد من قبل المصادر : " ونحن نفتح القول بأعدل الأحكام...ولا نقول كالذي قالوه في عدد الحمامات ... "[4] .
5. أطلع على الكثير من الكتب والمراسلات بين الخلفاء والأمراء في أثناء عمله في ديوان الإنشاء ، فعن الكتاب بين الخليفة الطائع وعضد الدولة كقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة أبي شجاع ... "[5] .
6. يستشهد بالكثير من القصائد الشعرية ، مثلاً ما قاله أبي النجم الراجز لهشام بن عبد الملك ، يقول : "

الحمد لله الوهوب المجزل ... أعطى فلم يَبخل ولم يُبخل "[6] .

7. حرص الصابي في رواية أخباره على إتباع طريقة المحدثين بالاهتمام بالسند واستعماله بطرق مختلفة منها :

---

(2) المصدر نفسه ، ص9 .
(3) المصدر نفسه ، ص71 .
(4) المصدر نفسه ، ص14 .
(5) المصدر نفسه ، ص19 .
(6) المصدر نفسه ، ص113 .
(1) رسوم دار الخلافة ، ص62 .

- استعمل في رواية أخباره السند الموصول ، كقوله : حدثني ، كقوله : " حدثني إبراهيم بن هلال جدي قال : حضر المهلبي ... "[1] .
- وعن الرواية بالوجادة يستعمل كلمة وجدت ورأيت ، كقوله : " وجدت يمين الدولة أبا القاسم محمود بن سبكتكين قد كان ... "[2] ، وكذلك كلمة رأيت مثلاً : " رأيت له كتاباً آخر على عنواناتها من الجانب الأيسر ... "[3] .

عاشراً. وفاته :

توفي هلال الصابي ليلة الخميس السابع عشر من رمضان عام 448هـ/1056م[4] ، أما سبط بن الجوزي (ت654هـ/1255م) فقد انفرد عن المؤلفين الآخرين في رواية مؤداها أنه توفي يوم الأربعاء سادس عشر من رمضان[5]، في حين أشارت بعض المصادر الأخرى إلى أنه توفي في رمضان من دون ذكر اليوم[6] ، ولم تشر المصادر إلى حال وفاته ، وكيف شُيّع ومن صلى عليه وأين دفن ، إنما أكتفوا بذكر تاريخ وفاته فقط .

المبحث الخامس

ابن العبري (ت685هـ/1286م)

أولاً. اسمه وكنيته :

هو مارغريغوريوس يوحنا بن تاج الدين بن أهرون بن توما[7] جمال الدين[1] ، ويكنى بأبي الفرج ولم يُعرف بكُنية غيرها[2] .

---

(2) المصدر نفسه ، ص68 .

(3) المصدر نفسه ، ص108 .

(4) المصدر نفسه ، ص109 .

(5) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج16 ، ص117 ؛ أبو البركات الانباري ، نزهة الالباء ، ص256 ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج6 ، ص1785 ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج6 ، ص106 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج5 ، ص207 .

(6) مرآة الزمان ، ج18 ، ص515 .

(7) أنظر : ابن الجوزي ، المنتظم ، ج16 ، ص13 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج30 ، ص196 .

(1) فانديك ، اكتفاء القنوع ، ص78 ؛ سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص339 ؛ إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1371هـ/1951م)

ثانياً. لقبه :

اشتهر أبو الفرج بألقاب عديدة أشهرها ابن العبري ، فقيل : أبو الفرج العبري[3] ، ويرى البعض إن هذا اللقب يعود إلى أصله اليهودي[4] ، إلا أن مصادر أخرى دحضت هذه الرواية التي تشير إلى أن أصله يهودي ثم اعتنق النصرانية ، إذ يرى البطريك برصوم بأنه لُقب به كونه لقب أحد آبائه ، أو أن ولادته كانت في أثناء عبور نهر الفرات ، ودليل ذلك أن ابن العبري نفسه دحض هذه الرواية ببيت شعر بالسريانية عن نفسه قائلاً : " إذا كان سيدنا المسيح سمى نفسه سامرياً ، فلا تخجلن إذا دعوك ابن العبري ، لأن مصدر هذه التسمية نهر الفرات ، لا ديناً معيباً ولا لغة عبرية "[5].

، ج1 ، ص812 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص117 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 ؛ كحالة، معجم المؤلفين ، ج8 ، ص39 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص10 ؛ البستاني ، بطرس ، كتاب دائرة المعارف ، (بيروت : مطبعة المعارف ، 1292هـ/1876م) ، ج1 ، ص594 ، مادة (حرف العين) ؛ برصوم ، غناطيوس أفرام الأول، اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، قدمه ونشره : غريغوريوس يوحنا إبراهيم ، ط6(حلب ، دار ماردين ، 1416هـ/1996م) ، ص411 ؛ حنا ، جميل ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، مجلة سما ، (بيروت : المجلد 5 ، العدد16-17 ، 1431هـ/2011م) ، ص194 ؛ بهنام ، غريغوريوس بولس ، يوحنا بن العبري حياته وشعره ، (حلب : مطرانية السريان الأرثوذكس ، 1404هـ/1984م) ، ص4 .

(2) فانديك ، اكتفاء القنوع ، ص78 ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج8 ، ص39 ؛ عيواص ، اغناطيوس زكار الأول ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة لابن العبري (ت685هـ/1286م) ، ط2(طرابلس : مكتبة السائح ، 1403هـ/1983م) ، ص10 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص411 ؛ البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، ص594 .

(3) اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ، ج1 ، ص812 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص117 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج8 ، ص39 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص10 ؛ البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، ص594 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص411 .

(4) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص10 ؛ البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، ص594 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص411 ؛ حنا دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص194 ؛ بيفوليفكايا ، نيتا ، ثقافة السريان في القرون الوسطى ، ترجمة : خلف الجراد ، (موسكو : دار العلم ، 1398هـ/1979م) ، ص331 .

(5) البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، ص594 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 .

(1) اللؤلؤ المنثور ، ص413 .

ورأى البعض الآخر بأنه لُقب بذلك ربما لأن أصل عائلته من قرية عبرة الواقعة على نهر الفرات بالقرب من مدينة (ملطية[1])[2] . ونرى بأن الشعر الذي قاله ابن العبري دليل واضح ينفي نسبته إلى اليهودية ، وعُرف كذلك بالملطي[3] نسبة إلى مدينة ملطية[4] ، كونه ولد بها كما ذكرت المصادر.

ثالثاً . ولادته :

ولد ابن العبري في مدينة ملطية قاعدة أرمينيا الصغرى[5] في عام 623هـ/1226م[6] ، إلا أن إسماعيل باشا البغدادي انفرد عن المصادر الأخرى وذكر أنه ولد عام 634هـ/1236م[7] . ويبدو أن سبب اختلافه عن المصادر الأخرى هو من باب التصحيف .

رابعاً. نشأته وتعلمه :

---

(2) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام بناها الاسكندر ، وفي عام 140هـ/758م وجه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لبناء ملطية فأقام عليها سنة حتى بناها واسكنها الناس . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص192 ؛ الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900هـ/1495م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق : إحسان عباس ، ط2(بيروت : مؤسسة ناصر للثقافة ، 1400هـ/1980م) ، ص545 .

(3) عيواص ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة ، ص12 ؛ حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص197-198.

(4) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 ؛ البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، ص594 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص411 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص10 ؛ بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص4 .

(5) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 ؛ البستاني ، كتاب دائرة المعارف ، ص594 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص411 .

(6) أرمينيا الصغرى : قيل : هما أرمينيتان الكبرى والصغرى وحدّهما من برذعة إلى باب الأبواب ومن الجهة الأخرى إلى بلاد الروم ، وقيل : أرمينيا الكبرى خلاط ونواحيها ، وأرمينيا الصغرى تفليس ونواحيها ، وقيل : بل ثلاث أرمينيات ، وقيل : أربع ، أما الصغرى فهي مقابلة لمدينة الحكماء وهي صحيحة الهواء . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص160 .

(7) اليسوعي ، أنطوان صالحاني ، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ مختصر الدول لابن العبري (ت685هـ/1286م) ، (بيروت : دار الرائد ، 1403هـ/1983م) ، ص هـ ؛ فانديك ، اكتفاء القنوع ، ص78 ؛ سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص339 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص117 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص10 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 ؛ حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص194 .

(1) هدية العارفين ، ج1 ، ص812 .

نشأ ابن العبري في مدينة ملطية[1] في بيت محب للعلم والبحث والتعلم ، وشغف باكتساب المعرفة ، وكان والده طبيباً ويتعاطى العلوم الفلسفية ، وقد لقن ابنه مبادئ الطب[2] ، وأمه من فضليات النساء في زمانها[3] ، وعهد به والده إلى أمهر المعلمين والمؤدبين فأتقن على أيديهم اللغات الثلاث : السريانية ، العربية ، اليونانية[4] ، وكان محباً للعلم يتحدث عن نفسه قائلاً : " شغفت منذ نعومة أظفاري بمحبة العلم ، وفهمت الكتاب المقدس وتفاسيره ، وأدركت الأسرار المكونة في كتب الملاقنة القديسين "[5] ، ثم درس اللغة الأرمينية والفارسية ، وتعمق بكل العلوم[6] ، وعُد أحد أقطاب الفكر في الشرق ، ومن أساطين الثقافة السريانية الكبار[7] .

خامساً. توليه المناصب الدينية :

بعد أن شب ابن العبري في مدينة ملطية ، ارتحل عنها برفقة والده إلى مدينة أنطاكية إثر الغزو المغولي لمدينتهم عام 641هـ/1243م[8] ، والتزم في أنطاكية ديراً يتعبد فيه منكباً على أعمال الزهد والتقشف واكتساب العلم الروحاني والفضيلة ، فذاع صيته في أرجاء المدينة[9] ، وفي عام 643هـ/1245م رحل إلى طرابلس الشام وأكمل دراسته هناك[10] ، وفي عام 650هـ/1252م عُين كاهناً فأسقفاً لبلدة جوباس[1] من

---

(2) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 .

(3) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص198 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 .

(4) بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص4 .

(5) عيواص ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة ، ص13 ؛ حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص198-199 .

(6) طوق الحمامة ، ص148 .

(7) عيواص ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة ، ص13 ؛ حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص199 .

(8) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص199 .

(9) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص446 ، إذ يذكر ما جرى لهم في مدينة ملطية وكيف خرجوا منها . برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 ؛ سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص339.

(1) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 ؛ حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص200 .

(2) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 .

أعمال ملطية ، ويذكر ابن العبري ذلك قائلاً : " وفي تلك السنة ارتقى كاتب هذا التاريخ إلى كرسي أسقفية جوباس "[2] .

ولم يكن تجاوز عمره العشرين عاماً إذ يتحدث عن نفسه في كتابه طوق الحمامة قائلاً : " ولما بلغت العشرين من عمري اضطرني البطريك المعاصر إلى أن أتقلد رئاسة الكهنوت ، حينئذ ألجأتني الضرورة أن أجادل ذوي المعتقدات المخالفة من مسيحيين وغرباء ، مجادلات مبنية على القياس المنطقي والاعتراضات ... "[3] .

وفي عام 651هـ/1253م نُقل ابن العبري إلى مطرانية حلب[4] ، وواكب على المطالعة فأتم دروسه الفلسفية واللاهوتية وأتقن اللغة العربية في أثناء إقامته فيها[5] ، وبعد أن سُمي أسقفاً قصد دمشق ولقي حظاً عند صاحب حلب الملك الناصر[6] ، فرفعت من مكانته[7] ، ولما تبوأ الكرسي البطريكي أغناطيوس الرابع يشوع (ت681هـ/1283م) خلفاً لابن المعدني عام 662هـ/1264م أجمع أساقفة المجمع

---

(3) جوباس : لم نعثر لها على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا ، ولكن ذُكر أنها من أعمال مدينة ملطية التي عُرف بها . بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص14 .

(4) تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق البيروتية ، (بيروت : في مجلدات 43(1949م) ، 45(1951م) ، 46(1952م) ، 47(1953) ، 48(1954م) ، 49(1955م) ، 50(1956م)) .

(5) ص148 .

(6) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 ؛ بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص15 .

(7) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 .

(8) هو يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب بن شاذي السلطان الملك صلاح الدين بن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن الناصر صلاح الدين هو صاحب حلب ثم صاحب الشام ، ولد بقلعة حلب عام 627هـ/1229م ، وقتل عام 659هـ/1260م . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج23 ، ص204-205 ؛ ابن شاكر الكتبي ، محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن هارون الملقب صلاح الدين (ت764هـ/1362م) ، فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، ط1(بيروت : دار صادر ، 1393هـ/ 1973م) ، ج4 ، ص361 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج8 ، ص249 .

(9) سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص339 .

الأنطاكي على انتخاب ابن العبري مفرياناً[1] على المشرق بعد خلو هذا الكرسي مدة ستة أعوام على أثر وفاة المفريان أغناطيوس صليبا عام 655هـ/1258م[2] .

وبعد تنصيبه مفرياناً أخذ يتنقل بين البلدان ، فقد رحل إلى الموصل أولاً ولما دخلها استُقبل فيها بأبهة رائعة ، وكانت وسط ذلك تنشد الأناشيد الدينية له[3] .

ومن ثم رحل إلى بغداد عام 663هـ/1265 لزيارة الأبرشية[4] فيها وقد ابتهج أتباع الكنيسة الأرثوذكسية بزيارته ، وأقاموا احتفالات عديدة له ، ورسم (عيَّن) شمامسة وأساقفة كثيرون[5] ، كما رحل إلى بلدان عديدة أخرى كمراغة[6] وتبريز[7] وأذربيجان[8] لتفقد شؤون الأديرة والكنائس فيها[9] .

سادساً. لقائه بهولاكو :

(1) المفريان : لم نعثر له على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا ، لكن بهنام في دراسته حول ابن العبري قال : بأنها كلمة سريانية معناها المثمر ، وهي درجة دينية دون البطريك وأرفع من المطران وتعرف بـ(الجاثليق) . ابن العبري حياته وشعره ، ص201 .

(2) عيواص ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة لابن العبري ، ص23 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 ؛ بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص21 ؛ حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص201 .

(3) بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص23 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 .

(4) الأبرشية : كلمة يونانية الأصل تعني منطقة من البلاد تخضع لسلطة الأسقف . مصطفى ، المعجم الوسيط ، ص2 ؛ دوزي ، رينهارت بيتر آن (ت1300هـ/1883م) ، تكملة المعاجم العربية ، ترجمة : محمد سليم النعيمي وجمال الخياط ، ط1(بغداد : وزارة الثقافة والإعلام ، 1420هـ/2000م) ، ج1 ، ص66 .

(5) عيواص ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة لابن العبري ، ص23-24 ؛ بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص29 .

(6) مراغة : بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان وبها آثار وعمائر ومدارس وخانكاهات حسنة ، وقد كان فيها أدباء وشعراء ومحدثون وفقهاء . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج5 ، ص93 .

(7) تبريز : مدينة حصينة ذات أسوار محكمة ، وهي قصبة بلاد أذربيجان ، بها عدة أنهر والبساتين محيطة بها ، وهي كثيرة الخيرات ، تحمل منها الثياب العتابي والأطلس والنسيج إلى الآفاق . القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، (بيروت : دار صادر ، 1379هـ/1960م) ، ص339 .

(8) أذربيجان : هو إقليم واسع حدها من برذعة شرقاً إلى ارزنجان غرباً ويتصل حدها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل ، ومن مدنها المشهورة تبريز وهي قصبتها ، ويغلب عليها الجبال ، فيها قلاع كثيرة وخيرات واسعة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ، ص129 .

(9) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413-414 .

كان ابن العبري معاصراً لاجتياح المغول للعراق والشام ، حتى أنه هرب مع أهله من مدينته ملطية خوفاً منهم[1] ، وعند محاصرة هولاكو مدينة حلب عام 658هـ/1260م كان ابن العبري حينها مطراناً على كرسيها ، ويشير إلى ذلك بقوله : " وكنت يومئذ أنا الحقير مطراناً ، فلشدة الخوف خرجت وسرت إلى خدمة هولاكو وحُبست في قلعة نجم[2] فأصبح شعبنا الحلبي دون راعٍ فأطلق أغلبهم إلى كنيسة اليونان فهجم عليهم التتر وفتكوا بهم وسبوا بقيتهم ... "[3] . وهذا هو أول لقاء له بهولاكو ، وكما يبدو أنه قابله من أجل أن يشفع لأهل حلب ولكنها ذهبت سدى .

أما لقائه الثاني بهولاكو فكان بعد أن أصبح مفرياناً ، إذ قام على أثر رسامته بزيارة هولاكو فأستقبله بحفاوة لائقة لمكانته العلمية والدينية[4] ، وكانت زيارته الثانية لتثبيت رئاسة البطريك أغناطيوس الرابع (ت681هـ/1283م) الروحية ، إذ أنه مهد لزيارته لهولاكو ، فلما وصل البطريك رحب به هولاكو أجمل ترحيب ومنحه براءة تثبيت حقوقه[5] ، وكما هو معروف أن هولاكو لم يتعرض لأهل الذمة سواءً في بغداد أو بلاد الشام ، حتى أن ذلك حفزهم لمناصرة المغول في اجتياحهم لاسيما في مدن الشام ، وترجح المصادر ذلك إلى أنَّ زوجة هولاكو (ظفر خاتون) كانت نصرانية مما دعاه إلى أن يأمر جنوده بعدم التعرض لهم[6] .

سابعاً. مؤلفاته :

كان لابن العبري الباع الطويل في التأليف والكتابه ، فقد وضع مؤلفات عديدة شملت كافة المعارف في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، لذلك احتل مكانة عالية

---

(1) تاريخ مختصر الدول ، ص441 .

(2) قلعة نجم : قلعة حصينة مطلة على شرقي نهر الفرات على جبل وتحتها ربض كان عندها جسر يقال له : جسر منبج يعبر عليه إلى منبج وبينهما أربعة فراسخ . ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج3 ، ص1118 ؛ الغزي ، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي (ت1351هـ/1932م) ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، ط2(حلب : دار القلم ، 1419هـ/1998م)، ج1 ، ص399 .

(3) تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق ، مج50 ، 1956م ، ص137 .

(4) بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص22 ؛ حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص201 .

(5) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص201 .

(6) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج13 ، ص288 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص220 .

بين المفكرين ، وكتب بالسريانية والعربية[1] . ويمكن تصنيف مؤلفاته بحسب العلوم وعلى الشكل الآتي :

أ. المؤلفات الدينية :

1. تفسير الكتاب المقدس ، مطبوع في شيكاغو عام 1931م[2] .
2. اللاهوت النظري أو ما يعرف بمنارة الأقداس ، وهو مطبوع ، عرَّبه دانيال بن الخطاب ، توجد منه نسخة في المكتبة الشرقية ، بيروت[3] .
3. الشرع الكنسي والمدني ، ألفه بالسريانية ، وهو مطبوع نشره بوليس بيجان عام 1895م ، دمشق[4] .
4. اللاهوت الأدبي ، ألفه بالسريانية ، وعرَّبه (مارغريغوريوس بولص بهنام) مطران بغداد والبصرة ، طبع عام 1966م[5] .
5. الكتب الطقسية ، ترجمت إلى العبرية والانكليزية ، توجد منها نسخة في باريس تاريخها عام 1454م[6] .

ب. الكتب التاريخية :

1. كتاب تاريخ الزمان (السرياني) ، مطبوع ومنشور في مجلة المشرق البيروتية للمدة 1949-1956م[7] .
2. تاريخ مختصر الدول ، كتبه بالعربية ، مطبوع أكثر من طبعة ، منها في بيروت عام 1983م[8] .

---

(1) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص205 .

(2) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص10 .

(3) المرجع نفسه ، ص10 .

(4) عيواص ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة لابن العبري ، ص29 .

(5) المرجع نفسه ، ص29 .

(6) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص209 .

(7) المرجع نفسه ، ص209 .

(1) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص260 .

3. التاريخ الكنسي ، يتضمن تاريخ بطاركة أنطاكية ، وهو مطبوع ومنشور في مجلة المشرق البيروتية للمدة 1923-1924م[1] .

ت. قواعد اللغة السريانية :

1. كتاب اللمع ، وهو مطبوع نشره المستشرق الفرنسي مارتان في باريس عام 1873م[2] .
2. كتاب المدخل ، وهو ملخص كتاب (اللمع) ، مخطوطة في تركيا انجزت عام 1298م[3] .

ث. الفلسفة :

1. زبدة الحكمة ، وهو مطبوع نشره أفرام الأول برصوم عام 1940م في القاهرة[4] .

ج. كتب الرياضيات وعلم الهيئة :

1. تفسير كتاب المجسطي لبطليموس ، مفقود[5] .
2. الزيج الكبير ، مخطوط في الفاتيكان[6] .
3. كتاب الصعود العقلي ، وضعه بالسريانية ، عربه المطران بولس بهنام[7] .
4. أما في الرياضيات فبه كتاب تفسير كتاب أقليدس ، مفقود[8] .

ح. الطب :

1. تفسير مسائل حنين بن إسحاق ، كتبه بالسريانية ، وهو مفقود[9] .
2. اختصر كتاب ديوسقوريدس الطبيب اليوناني ، وهومفقود[1] .

---

(2) عيواص ، مقدمة تحقيق كتاب طوق الحمامة لابن العبري ، ص33 .
(3) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص425 .
(4) المرجع نفسه ، ص425 .
(5) المرجع نفسه ، ص419 .
(6) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص216 .
(7) المرجع نفسه ، ص216 .
(8) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص40 .
(9) المرجع نفسه ، ص41 .
(1) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص217 .

3. منتخب كتاب جامع المفردات ، أي الأدوية بالعربية لابن جعفر احمد بن خليد الغافقي من أعيان الأندلس ، أختصره ابن العبري ، وهو مطبوع نشره ماكسي مايرهوف وجورجي صبحي عام 1932م في القاهرة[2].
4. كتاب القانون لابن سينا ، نقله من العربية إلى السريانية ، وهو مفقود[3] .

خ. كتب متنوعة :

1. كتاب الأحاديث المطرية ، وضعه بالسريانية ، نشره الأب شيخو في مجلة المشرق البيروتية عام 1922م ، من ص709-767 .
2. رسالة في تفسير الأحلام[4] .

ثامناً. كتاب (تاريخ مختصر الدول) :

أ. وصف الكتاب :

ألف ابن العبري هذا الكتاب بناءً على طلب بعض أصدقائه من العلماء المسلمين في مدينة مراغة ، أي أن يقوم بنقل تاريخه السرياني إلى لغة الضاد ، فوافق على ذلك وأتم تعريبه إلا بعض الصفحات[5] .

وهو كتاب قيم ذكر فيه أخبار الأمم باختصار ، ويشير إلى ذلك الاختصار في مقدمة كتابه قائلاً : " وهذا مختصر في الدول قصدت في اختصاره الاقتصار على بعض ما أوتي في ذكره اقتصاص إحدى فائدتي الترهيب والترغيب من أمور الحكام خيرها وشرها على سبيل الالتقاط من الكتب الموضوعة في هذا الفن بلغات مختلفة سريانية وعربية وغيرها "[6] .

وإن كان قد توخى الإيجاز في هذا الكتاب ، إلا أنه أضاف أموراً كثيرة خلا منها المطول السرياني لاسيما ما يتصل بالفتح العربي الإسلامي في العراق وبلاد الشام

---

(2) المرجع نفسه ، ص217 .
(3) المرجع نفسه ، ص217 .
(4) كحالة ، معجم المؤلفين ، ج8 ، ص40 .
(5) قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص260 .
(6) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص425 .
(1) تاريخ مختصر الدول ، ص1-2 .

ومصر ، وتاريخ دولتي الإسلام والمغول ، وتراجم العلماء والأطباء ، مستقصياً الحقائق التاريخية من ينابيع المؤرخين المسلمين كالطبري وابن الأثير وغيرهما .

فقد تناول هذا الكتاب أحداث التاريخ مبتدئاً من أول الخليقة إلى زمانه ، وهو مرتب من عهد آدم عليه السلام إلى قضاة بني إسرائيل ، ومن قضاة بني إسرائيل إلى ملوكهم ومن ثم ملوك الكلدانين وملوك الفرس وملوك اليونانيين الوثنيين وملوك الإفرنج وملوك اليونانيين المتنصرين وملوك العرب المسلمين ، وملوك المغول .

وقد ألفه بأسلوب سهل وواضح ولغة بليغة ، ويُعد من المصادر القيمة في رواية الكثير من الأحداث التاريخية لاسيما الغزو المغولي إذ يرويها كشاهد عيان .

وفيما يخص تاريخ المسلمين ، فقد رتبه بحسب النظام الحولي واتخذ مدة خلافة الخلفاء كنقطة أساسية يعتمد عليها وما يدور حولها من أحداث ، وفي نهاية عهد كل خليفة يترجم لبعض العلماء من أطباء وفلكيين ومنجمين وغيرهم .

ب. منهجه :

لقد كان بعض المؤلفين المتأخرين يستغنون في معظم الأحيان عن ذكر سلسلة السند ، مع عدم الإهمال الكامل للكشف عن مصدر أخبارهم ، وأتبع ابن العبري هذا المنهج ، وفيما يأتي وصف لجزء من منهجه :

1. يهتم بذكر الرواية التاريخية كشاهد عيان ، كقوله عن ما حصل في مدينة ملطية عند هجوم المغول عليها : " وكان من جملة من يريد الخروج بأهله والدي فاحضر الدواب ... "[1] .
2. يذكر في بعض الأحيان الرواية من دون تحديد اسم المصدر الذي نقل عنه ، إذ يقول : " قال بعض الرواة : دخل بختيشوع بن جبريل الطبيب يوماً على المتوكل ... "[2] .
3. إيراده بعض الطرائف في الروايات ، ويشير إليها منها ما حصل للطبيب سنان ابن ثابت عند امتحانه للأطباء ويقول : " دخل عليه رجل مليح البشرة ذو هيبة أكرمه سنان ... وقال له : اشتهيت أن اسمع من الشيخ شيئاً أحفظه ، فأخرج

---

(2) المصدر نفسه ، ص441 .

(1) تاريخ مختصر الدول ، ص249 .

الشيخ قرطاساً فيه دنانير ووضعها بين يدي سنان ... وقال : والله ما أحسن أكتب وأقرأ ... "[1] .

4. استقى أخباره من مصادر عاينت الحدث أو ما يسمى المشافهة ، إذ يقول : " حدثني الملك حاتم [ملك الأرمن] عند اجتماعي به بمدينة طرسوس[2] بعد سنين من عودته من خدمة مونككا قان... "[3] .
5. اعتمد على وثائق رسمية من ديوان الإنشاء التابع للسلطنة المملوكية ، إذ يذكر رسائل مطولة بين زعماء المغول وسلطان مصر المنصور قلاوون ، إذ يقول : " أما بعد فإن الله تعالى بسابق عنايته وبنور هدايته ... " ، ومن ثم يذكر جواب السلطان المملوكي بقوله : " أما بعد حمد لله الذي أوضح لنا بأن الحق منهاجاً ... "[4] .
6. يورد أسماء بعض المصنفات التي أخذ عنها أخباره ويسميها ، مثلاً قوله : " قال ابن جلجل الأندلسي إن ماسرجويه البصري سرياني اللغة يهودي المذهب ... "[5] .
7. أهتم كثيراً بترجمة العلماء وتكون الترجمة بحسب طبيعة المترجم له وقيمته العلمية ، إذ يذكر اسم المترجم ونسبه ولقبه وشيوخه وما خلفهُ من آثار علمية[6].
8. عمد إلى الاستشهاد ببعض القصائد الشعرية للتدليل على صحة روايته ، وهو يورد استشهاده في المكان المناسب ولا يغالي فيه ، فمثلاً عن الشعر الذي قاله

---

(2) المصدر نفسه ، ص282 .

(3) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، بينها وبين أذنة ستة فراسخ ، وسميت بطرسوس بن الروم بن سام بن نوح ، وقيل : أحدثها سليمان وهو واحد ممن خدم هارون الرشيد عام نيف وتسعين ومائة . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج4 ، ص28 .

(4) تاريخ مختصر الدول ، ص460 .

(5) المصدر نفسه ، ص506 .

(6) المصدر نفسه ، ص192 .

(1) تاريخ مختصر الدول ، ص220 ، ص245 ، ص281 وغيرها .

أبو نؤاس على ما قام به الخليفة العباسي الأمين ، إذ يقول : " عجب الناس إذ رأُوك على صورة ... ليت يمُر مرَّ السحاب ... "[1] .

9. حرص على ذكر رواياته وأخباره التي استقاها من المصادر الأخرى بطرق مختلفة منها الوجادة ، مثلاً يقول : " وجدت في كتاب عتيق سرياني مجهول ... :[2] .

تاسعاً. كتاب (تاريخ الدول السّرياني) :

أ. وصف الكتاب :

تاريخ الدول السرياني أو ما يعرف أيضاً بـ(تاريخ الزمان) ، كتاب ألفه ابن العبري باللغة السّريانية ، وتضمن تاريخ العالم والدول والعلماء[3] ، وقد تضمن أيضاً روايات لم يتطرق إليها في تاريخ مختصر الدول ، ولأهمية هذا الكتاب نُقل إلى العربية ، إذ يذكر مترجم هذا الكتاب إسحاق رملة : " ذلك ما حدانا على نقل تاريخه هذا الفريد إلى العربية "[4] .

تناول تاريخ إحدى عشرة دولة بدءاً من عهد آدم عليه السلام إلى زمانه ، وشمل ملوك العبرانيين وملوك الكلدانيين وملوك فارس وملوك اليونان الوثنيين وملوك رومية (روما) وملوك اليونان النصارى ، ومن ثم ملوك العرب المسلمين وأخيراً ملوك المغول .

وفيما يخص تاريخ المسلمين فقد اتخذ من عهود الخلفاء محوراً تدور حوله الأحداث ، إذ يذكر الخليفة وما شهد عهده من أحداث ، فضلاً عن ذلك فإنه يتطرق لبعض الكوارث الطبيعية ، كما لم يهمل أخبار النصارى ، ويترجم أيضاً لبعض العلماء المسلمين ، وتتجلى أهمية هذا الكتاب بالتفاصيل التي أوردها للحوادث التي عاصرها أو التي جرت أمامه ، وبالكلام عن الأشخاص الذين عرفهم أو سمع منهم ، وكانت أغلب موارده في

---

(2) المصدر نفسه ، ص232 .

(3) المصدر نفسه ، ص76 .

(4) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص425 .

(5) تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق ، مج43 ، 1949م ، ص464 .

هذا الكتاب نصرانية ، إذ نقل عن تاريخ يعقوب الرهاوي[1] وميخائيل الكبير[2] ، وتواريخ أخرى سريانية وعربية وفارسية وقف عليها من خزانة مراغة[3] .

ونود الإشارة إن ابن العبري استقى معظم رواياته في هذا المصنف من كتاب تاريخ مارا ميخائيل السرياني ، ومن الجدير بالذكر إن الأخير لم نخوض في كتابه ودراسة رواياته كون ابن العبري أقتبس معظم رواياته منه ، فضلاً عن ذلك وهو الأهم إن مارا ميخائيل كان يعيش خارج حدود الدولة العربية الإسلامية (أنطاكية) وهي إمارة صليبية آنذاك ، وبقي بطريركاً فيها حتى وفاته عام 595هـ/1199م[4] .

ترجم هذا الكتاب إلى العربية ونشره الأب إسحاق رملة السرياني في مجلة المشرق البيروتية تباعاً ، ونشر الجزء الخاص بتاريخ المسلمين إي أنه لم ينشر أخبار الأمم والدول السابقة ، إذ يقول المترجم : " نقلنا بدءاً من أخبار الحقبة العاشرة وعنوانها (الملوك العرب) "[5] .

ب. منهجه :

نهج ابن العبري في كتابه على منوال المؤرخين أسلافه ، وفيما يأتي وصف لجزء من منهجه :

---

(1) هو يعقوب الرهاوي المعروف بالمفسر (ت89هـ/708م) ، كتب بالسريانية ، له ميامر عربية في المكتبة الأسقفية اليعقوبية في القدس الشريف . شيخو ، المخطوطات العربية ، ص215 .

(2) هو مارا ميخائيل السرياني الكبير بطريك أنطاكية (ت566هـ/1171م) ، له التآليف السريانية الجليلة ، منها تاريخه الكبير . شيخو ، المخطوطات العربية ، ص201 .

(3) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص425 .

(4) المرجع نفسه ، ص395-396 .

(5) تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق ، مج43 ، 1949م ، ص464 .

1. استعمل ابن العبري في عرضه لمعظم رواياته أسلوباً تميز بالإيجاز والاختصار والتركيز وابتعد عن السرد والاستطراد ، ويشير إلى ذلك بقوله : " وقس على ذلك حيلاً جمة لا يسع هذا المؤلف الوجيز استقصائها فأضربنا عن سردها "[1] .
2. استقى بعض مادته العلمية عن طريق الاطلاع على الكتب والمدونات التي صُنِّفت من قبله ولم يعاصر مؤرخيها ، وعلم الرغم من أنه لم يذكر أسماء هذه المدونات في كتابه إلا ما ندر ، إلا أنه ذكر أسماء المؤلفين ونص على الأخذ من مؤلفاتهم عند توثيقه الأخبار التي يرويها ، مثلاً يقول : " وذكر ديوتيسيوس التلمحري البطريك يقول : كنت يومئذ في بغداد ... "[2] .
3. أحياناً يستعمل الإسناد إلى مجاهيل ، إذ يسند أخباره إلى مصادر ورواة نقل عنهم من دون ذكر أسمائهم ، كقوله مثلاً : " وقد نقلنا ما نقلنا عمن سبقنا على أن البطريك ... "[3] .
4. على الرغم من اهتمام ابن العبري الكشف عن مصدر رواياته إلا أن بعض الروايات وردت من دون ذكر مصدر هذه الرواية ، مثلاً يقول : " ويُحكى أن رجلاً يقال له : جبلة ... "[4] .
5. في بعض الأحيان يعلق على الأخبار التي يسوقها والتي تكشف عن عاطفته تجاه الموقف الذي يتحدث عنه ، مثلاً يقول : " ولولا خوف الإفرنج من كمين يترصدهم لقبضوا في ذلك اليوم على صلاح الدين ذاته وقوضوا دعامة العرب تقويضاً تاماً "[5] .
6. أحياناً يظهر لديه الجانب النقدي عندما يعلق عن تفضيله لبعض الروايات عن غيرها وفي ترجيحه الروايات التي يراها جديرة بالترجيح وفي رفضه لبعض هذه الروايات ، مثلاً يقول : " أما ما ذكره الشيخ المغبوط البطريك ميخائيل ... فلم

---

(1) تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق ، مج46 ، 1952م ، ص391 .
(2) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج43 ، 1949م ، ص33 .
(3) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج46 ، 1952م ، ص8 .
(4) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج43 ، 1949م ، ص497 .
(1) تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق ، مج47 ، 1953م ، ص456 .

نعثر في غير تاريخه ولعله نقل الخبر عن السماع أو عن تاريخ لم نظفر به "[1] .

7. في ذكره لبعض الروايات يسند أخباره إلى مجاهيل ، ولكن بلادهم معلومة كقوله : " وحكي لي أحد أعيان ميافرقين ... "[2] .
8. كان عند ذكره لبعض الروايات التي فيها من أخبار الخوارق والخرافات والأساطير فإنه يذكرها من دون نقدها أو نفي وجودها ، مثلاً يقول : " لما كان أبو العباس السفاح في المغرب حدثت في معسكره ضجة شديدة ... سارع الناس ليشاهدوها فأبصروا رجال قد ابتعثوا من القبور بعضهم بقي منه الظهر والبعض الآخر الركبتين ... وعرفهم كثيرون ... "[3] .
9. ذكر بعض أعماله أو مؤلفاته أو الكتب التي قام بترجمتها في هذا الكتاب ، إذ يقول : " ونقلت أنا الحقير عن العربية إلى السريانية كتاب البديع الإشارة والتنبيه لابن سينا "[4] .
10. لم يكتفِ بأخذ معلوماته عن مصادر نصرانية فقط ، ولكنه حرص على تنوع موارده بأخذ معلوماته من مصادر فارسية وغيرها ، مثلاً يقول : " وقد طالعت أنا الحقير كتاباً فارسياً عنوانه ملك نامة ... "[5] .

عاشراً. وفاته :

توفي أبو الفرج ابن العبري ليلة الثلاثاء 6 من جمادى الآخرة عام 685هـ/30 تموز 1286م[6] ، وكان قد انتابته حمى شديدة ليلة الأحد 4 جمادى الآخرة/28 تموز عند تواجده في مدينة مراغة من أعمال أذربيجان ، وفي اليوم التالي وصف له الأطباء دواءً

---

(2) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج43 ، 1949م ، ص352 .
(3) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج50 ، 1956م ، ص137 .
(4) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج43 ، 1949م ، ص488 .
(5) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج45 ، 1951م ، ص353 .
(6) المصدر نفسه ، مجلة المشرق ، مج45 ، 1951م ، ص351 .
(1) الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص117 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص414 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص259 ؛ بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص47 .

رفض تناوله قائلاً : " لا فائدة من ذلك لأن الأوان آن للانتقال من هذا العالم "[1]، ولازمته الحمى إلى أن توفي إذ دفن هناك في أول الأمر[2] ، وقد أحاطت الجموع الغفيرة المفريان ، وبعد أن صلى عليه الجميع احتفل بدفنه احتفالاً مهيباً ووضع في مذبح كنيسة مراغة الصغير الذي كان يصلي فيه وأعلنوا الحداد ولبسوا السواد[3] ، ونقلت جثته فيما بعد إلى الموصل ودفنت في دير مار متى[4] . ولم تشر المصادر التاريخية الى سبب نقل جثته الى الموصل ودفنه بها .

المبحث السادس

ابن العميد (ت672هـ/1273م)

أولاً. اسمه وكنيته :

(2) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص205 ؛ بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص45 .
(3) حنا ، دراسات في فلسفة ابن العبري ، ص205 .
(4) برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص414 .
(5) الزركلي ، الأعلام ، ج5 ، ص117 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص414 .

هو جرجس[1] ، وقيل : عبد الله[2] بن أبي الطيب بن قرونيه بن طيب بن يوسف[3] ويكنى بأبي المكارم ولم يُعرف بكنية غيرها[4] .

ثانياً. لقبه :

اشتهر جرجس أبو المكارم بألقاب عديدة أشهرها : ابن العميد[5] ، والعميد هو لقب عُرف به والده[6] ، كما عُرف بلقب (المكين[7])[8] ، وهي رتبة دينية لدى النصارى[9].

ثالثاً. نسبه :

ينتسب ابن العميد إلى عائلة أصلها من تكريت[10] ، إذ تذكر المصادر أنه في أيام الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (524-495هـ/1101-1130م) رحل من تكريت إلى

---

(1) المقريزي ، المقفى الكبير ، تحقيق : محمد البجلاوي ، ط1(بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1411هـ/1991م) ، ج3 ، ص16 ؛ فانديك ، اكتفاء القنوع ، ص78 ؛ سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص191 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص116 ؛ الأنبا ، ديوسقورس ، موجز تاريخ المسيحية ، إعداد ومراجعة : ميخائيل مكسي اسكندر ، (القاهرة : مكتبة المحبة ، د.ت) ، ص457 ؛ نخلة ، سلسلة تاريخ البابوات (بطاركة الكرسي الاسكندري) ، تنقيح ومراجعة : الأنبا مناؤس ، ط2(القاهرة : دار هارموني للطباعة ، 1421هـ/2001م) ، ص85 ؛ روفيله ، يعقوب نخلة ، تاريخ الأمة القبطية ، تقديم : جودت جبرة ، ط2(القاهرة : مطبعة متروبول ، 1420هـ/2000م) ، ص186 ؛ يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص432 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص13 .

(2) الصقاعي ، فضل الله بن أبي الفخر (726هـ/1326م) ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق : جاكلين سوبله ، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، 1393هـ/1974م) ، ص110 ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة : عبد الحليم النجار ، ط5(القاهرة : دار المعارف ، 1396هـ/1977م) ، ج6 ، ص144 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية وكتّابها في الإسلام ، حققه وزاد عليه : كميل حشيمة ، (بيروت : المكتبة البولسية ، 1407هـ/1987م) ، ص82 .

(3) المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص16 .

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص16 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص226 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص144 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص13 .

(5) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص110 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص16 ؛ الأنبا ، موجز تاريخ المسيحية ، ص457 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص226 ؛ يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص432 ؛ نخلة ، سلسلة تاريخ البابوات ، ص85 ؛ روفيله ، تاريخ الأمة القبطية ، ص186 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص144 .

(6) المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص17 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص84 .

(7) مكين ، مكُن ، يمكُن ، مكانة فهو مكين ، والمكانة المنزلة ، وقيل : فلانٌ مكينٌ عند فلانٍ أي أرتفع شأنه وعظم عنده . الزبيدي ، تاج العروس ، ج36 ، ص71 .

(8) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص110 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص16 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص116 ؛ الأنبا ، موجز تاريخ المسيحية ، ص457 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص226 ؛ يوحنا ، تاريخ الكنيسة القبطية ، ص432 .

(9) دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج10 ، ص96 .

(1) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص110 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص17 ؛ الزركلي ، الاعلام ، ج2 ، ص116 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص83 .

مصر تاجر نصراني سرياني يدعى طيب بن يوسف (أي جده) ومعه أحمال كثيرة من الثياب والأقمشة والأبراد الحرير من عمل الهند واليمن ، وأهدى للخليفة منها فخلع أجودها عليه وأحسن إليه وعوَّضه ، واستحضره وأعجبه كلامه فأمره بالمقام بمصر[1] ، وأنعم عليه بقرية من أعمال الحوف[2] اسمها بهيدة ، فأقام بها إلى وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله ، فانتقل إلى منطقة سموطية[3] ، وتزوج ورُزق بولد أسماه قرونيه ، ومات أبو الطيب ودفن بكنيسة سموطية[4] .

ونشأ قرونيه واشتغل بصناعة الكتابة وتصرف في الخدم الديوانية ، ورزق بولد أسماه أبو الطيب ، وكان كاتباً حاذقاً ، رحل إلى القاهرة واجتمع بالأكابر وخدمهم وخدم في ديوان الغربية[5] سبعة أعوام[6] ، وكان له خمسة أولاد أصبح أربعة منهم أساقفة[7] ، أصغرهم أبو المكارم الذي أصبح له ثلاثة أولاد أحدهم العميد والد المؤرخ الذي عمل في ديوان الجيش وأقام فيه خمسة وأربعين عاماً حتى وفاته عام 636هـ/1238م[8] .

رابعاً. ولادته :

ولد أبو المكارم جرجس بن العميد في القاهرة في ثاني ساعة[9] من نهار يوم السبت الثامن من رجب عام 602هـ/الثامن عشر من شباط عام 1206م[1] .

---

(2) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص110 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص17 .

(3) الحوف : بمصر حوفان الشرقي والغربي وهما متصلان ، الأول الشرقي من جهة الشام ، والآخر الغربي قرب دمياط ، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة . ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادي الموصلي (ت بعد 367هـ/978م) ، صورة الأرض ، (بيروت : دار صادر ، 1356هـ/1938م)، ج1 ، ص161 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص322 .

(4) سموطية : لم نعثر لها على ترجمة في المصادر التي بين أيدينا .

(5) المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص17 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص83 .

(6) الغربية : إحدى المدن الواقعة في مصر ، وهي جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد ، ويحدها من الجنوب مدينة المنوفية ، وتعد إحدى أعمال الوجه البحري . المقريزي ، الخطط ، ج1 ، ص242 .

(7) المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص17 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص83 .

(8) المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص17 .

(9) المصدر نفسه ، ج3 ، ص18 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص83 .

(1) ابن العميد ، أبو المكارم جرجس بن أبي الطيب بن قورنيه بن طيب بن يوسف (ت672هـ/1273م) ، أخبار الأيوبيين ، (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، د.ت) ، ص5 .

خامساً. نشأته وتعلمه :

نشأ ابن العميد في القاهرة[2] ، بعد أن شب في عائلة عُرفت بحبها للعلم والمعرفة وأنكب على الدرس والتحصيل ، ودرس اللاهوتيات والفلسفة الدينية ، ومال بطبعه إلى اكتشاف كنوز الكتاب المقدس ، واستطاع في مدة وجيزة أن يلم إلماماً كبيراً باللغات القبطية واليونانية والعربية ، وتمكن من علوم الفلك والتاريخ والمنطق[3]، كما أثبت جدارة في التقوى والتقشف والمحبة ، وانشغل بالكتابة في العقيدة الأرثوذكسية[4].

سادساً. عمله في ديوان الجيش :

بعد أن نشأ ابن العميد ودرس وتعرف وتقدم ، خدم بديوان الجيش بالقاهرة أيام الدولة الأيوبية[5] ، ثم انتقل مع والده إلى دمشق وخدما بديوان الجيش فيها أيضاً ، وتقدم في عهد الناصر يوسف الأيوبي (676-648هـ/1259-1277م) ، واختص بخدمة الأمير علاء الدين طيرس الوزيري[6] نائب الشام وعظم قدره وصارت له كلمة نافذة[7] ، ولما ساءت العلاقة بين السلطان الظاهر بيبرس والنائب المذكور أرسل الأول يطلب ديوان

---

(2) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص111 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص116 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص144 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص85 .

(3) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص110 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 .

(4) حبيب ، أيريس ، قصة الكنيسة القبطية من (948-1518م) ، (الإسكندرية : مكتبة كنيسة مامرجرجس ، د.ت) ، ج3 ، ص219 ؛ باسيلي ، فؤاد ، مقدمة تحقيق كتاب الحاوي لابن العميد (ت672هـ/1273م) ، (القاهرة : دار النشر القبطية ، د.ت) ، ص3 .

(5) حبيب ، قصة الكنيسة القبطية ، ج3 ، ص219 ؛

(6) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص110 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 .

(1) هو علاء الدين طيرس الوزيري الأمير صهر السلطان الظاهر بيبرس ، كان كثير الصدقات قليل الأذية ، أوصى بثلاثمائة ألف درهم تنفق في الجند الضعفاء ، توفي عام (689هـ/1289م) . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج16 ، ص291 ؛ تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، تحقيق : إحسان عباس وزهير حميدان الصمصام ، (دمشق : وزارة الثقافة ، 1413هـ/1992م) ، ص166-167 .

(2) المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص144 .

الجيش إلى مصر فاعتقل ومن معه ومن ضمنهم ابن العميد في قلعة الجبل[1] ، وقضى ابن العميد ووالده مدة[2] في السجن إلى أن أُفرج عنهم[3] .

بعدها ولاه السلطان الظاهر بيبرس ديوان جيش مصر وأضاف ديون جيش الشام إليه ، فحسده واحد من نواب ديوان الجيش وزور كتاباً إليه وألقاه في حرمدانه[4] ووشي به ليُنتقم منه ويتولى مكانه واعتقل المكين ، ونُقل عن الذي وشى به كلاماً أوجب القبض عليه والعقوبة ، فأعتقل بعد العذاب مدة خمسة عشر عاماً[5] ، وأُفرج عنه فيما بعد وترك التصُّرف بهذا العمل وحضر إلى دمشق وقضى حياته فيها[6] .

سابعاً. مؤلفاته :

ترك ابن العميد مصنفات عديدة ، منها :

1. المستفاد من بديهة الاجتهاد ، امتدح فيه المجدّين الكادحين ، وهو مفقود[7] .
2. المجموع المبارك ، ويقع في جزأين ، تُرجم الجزء الثاني منه إلى الفرنسية عام 1657م[8] .

---

(3) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج17 ، ص356 ؛ المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، ط1(بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418هـ/1997م) ، ج1 ، ص544 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص84 .

(4) لم تذكر المصادر المدة التي قضاها ابن العميد في السجن ، وقد تكون ليست بالمدة الطويلة كونه أُعتقل مرة أخرى وبقي في السجن خمسة عشر عاماً ، وإن المقريزي يقول عن حبسه أول الأمر : إنه حُبس بالقاهرة مدة سنين . المقفى ، ج3 ، ص18 .

(5) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص111 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص144 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص84 .

(6) حرمدانه : حرمدان من الفارسية خرمدان وهي حقيبة من الجلد يحملها الرجل على جنبه ويضع فيها دراهمه وأدواته وغير ذلك . دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج3 ، ص150 .

(7) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص111 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج17 ، ص356 .

(8) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص111 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج2 ، ص116 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص145 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص85 .

(1) باسيلي ، مقدمة تحقيق كتاب الحاوي ، ص3 .

(2) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص13 .

3. مختصر البيان في تحقيق الإيمان المعروف بـ(الحاوي) ، وهو مطبوع في القاهرة ولم يذكر تاريخ الطبع[1] .
4. تكملة تاريخ الطبري ، وهو مفقود[2] .
5. أخبار الأيوبيين ، مطبوع طبعه المستشرق توما أريليوس في لندن عام 1625م[3] .

ثامناً. كتاب (أخبار الأيوبيين) :

أ. وصف الكتاب :

يُعد كتاب أخبار الأيوبيين واحداً من المصادر المهمة عن الحقبة التي تناولها موضوعه ، إذ أنه يروي أغلب أحداثها كشاهد عيان في ذلك العصر ، وهو كتاب صغير جداً لا تتجاوز عدد صفحاته (63) صفحة ، وهو جزء من الكتاب الكبير الذي ألفه ويدعى (المجموع المبارك) ، ويتكون هذا المصنف من جزأين : الأول من بداية الخلق الى سنين الهجرة النبوية الأولى ، والثاني منذ عهد الرسول ﷺ إلى عصره[4] .

وحقق المستشرق كلود كاهن الجزء الخاص بتاريخ الأيوبيين فقط ، والذي يقع في الجزء الثاني تحت عنوان (أخبار الأيوبيين)[5] ، ويتضمن أحداث السنين للمدة من (602-658هـ/1205-1259م) ، وأتسم أسلوب ابن العميد فيه بالسهولة وبيان تواضعه ، ويستدل على ذلك بوساطة الكلمات التي استعملها فيه لاسيما عندما يتحدث عنه نفسه ، وهذه العبارات تعكس أسلوبه الأدبي للكتاب ، ومن هذه الكلمات تحقير الذات[6] .

وكان قد صنفه على منهج النظام الحولي ، ويذكر ما جرى من أحداث في كل سنة بأسلوب مختصر ، فضلاً عن ذلك فإنه لم يهمل أخبار النصارى من وفاة وتنصيب

---

(3) روفيله ، تاريخ الأمة القبطية ، ص186 .
(4) باسيلي ، مقدمة تحقيق كتاب الحاوي ، ص3 .
(5) شيخو ، المخطوطات العربية ، ص13 .
(6) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص145 .
(7) سليفاني ، مهدي صالح ، الأيوبيون في كتابات المؤرخين السريان ، ط1(اربيل : مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر ، 1433هـ/2012م) ، ص28 .
(1) سليفاني ، الأيوبيين في كتابات المؤرخين السريان ، ص25 .

البطاركة وغير ذلك ، وكان يتخذ من مدة حكم السلاطين محوراً تدور حوله الأحداث، وأحداث عهد كل منهم .

ب. منهجه :

ألف ابن العميد هذا المصنف بأسلوب المؤرخ الحاذق في صنعته ، وفيما يأتي وصف لجزء من منهجه :

1. استقى بعض معلوماته من بعض المصادر الرسمية في الدولة فأخذ عن الأمراء وغيرهم ، إذ يذكر ذلك مثلاً بقوله : " إنني اجتمعت بالشيخ ولي الدولة المعروف بالحكيم بن الخطاب وكان كاتب الأمير ركن الدين الهيجاوي وسألته عن هذا الأمر ... "[1] .
2. يذكر أحياناً الرواية متصلة لعدة أعوام من دون قطعها من أجل أن تكون واضحة للقارئ ، مثلاً فيما يخص خروج الملك العادل الأيوبي إلى الشام ومن ثم إلى خلاط يقول : " وهذه الأحداث لم تكن جميعها في هذا العام إنما ذكرناها لينتظم الحديث على ساقته ولا ينتشر "[2] .
3. ميله إلى الاختصار والابتعاد عن السرد ، ويشير إلى ذلك فيما يخص خروج الملك الصالح الأيوبي صاحب مصر إلى دمشق قائلاً : " وجرت وقائع كثيرة يطول شرحها ... "[3] .
4. يهتم بذكر بعض الروايات كشاهد عيان ، فمثلاً عن الهجوم المغولي على بلاد الشام يقول : " وفي تلك الليلة التي فارق الملك الناصر دمشق في صبيحتها ... مضيت أنا وجماعة من كتبة الملك الناصر إلى مدينة صور وسببه أن نحن خفنا على أنفسنا ... "[4] .
5. أتبع أحياناً الإحالة في بعض الروايات التي وردت في تاريخه باختصار أحداها وإحالة القارئ إلى رواية أخرى يكون فيها تفاصيل أكثر ، مثلاً عن صفي الدين

---

(2) أخبار الأيوبيين ، ص31 .

(3) المصدر نفسه ، ص6 .

(4) المصدر نفسه ، ص33 .

(1) أخبار الأيوبيين ، ص50 .

بن شكر وهروبه من الملك العادل الأيوبي إلى آمد يقول : " وأقام عند الملك الصالح بن أرتق صاحبها إلى حين وفاة الملك العادل وسيّر الملك الكامل من أحضره واستوزره في سنة ست عشرة وستمائة وسنذكر ذلك في موضعه "[1] .

6. يذكر أحياناً الرواية التاريخية من دون الإشارة إلى مصدرها ، مثلاً قوله : " والذي ورد في تواريخ النصارى أن في هذه السنة ... "[2] .

تاسعاً. وفاته :

توفي ابن العميد في دمشق عام 762هـ/1273م[3] ، ولم تشر المصادر إلى حال وفاته وكيف دفن وأين ، ولكنها ذكرت أنه بعد أن أُفرج عنه من سجن الظاهر بيبرس خرج إلى دمشق واعتكف فيها إلى أن توفي[4] ، أي عاش سبعين عاماً . ويبدو أن النكبات التي تعرض إليها من السجن والاعتقال لأكثر من مرة كانت سبباً في وفاته .

المبحث السابع

ابن أبي الفضائل (ت نحو 759هـ/1358م)

أولاً. اسمه وكنيته[*] :

هو المفضل ولم تذكر المصادر غير ذلك[5] ، أما كنيته التي عُرف بها فهي ابن أبي الفضائل ، ولم يُعرف بكنية غيرها[1] .

---

(2) المصدر نفسه ، ص10 .

(3) المصدر نفسه ، ص6 .

(4) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص111 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج17 ، ص356 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 ، بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص145 ؛ شيخو ، وزراء النصرانية ، ص85 ؛ نخلة ، سلسلة تاريخ البابوات ، ص86 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص226 .

(5) الصقاعي ، تالي كتاب وفيات الأعيان ، ص111 ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج17 ، ص356 ؛ المقريزي ، المقفى ، ج3 ، ص18 .

(*) معلوماتنا عن هذا المؤلف قليلة جداً ، فلم تذكر المصنفات شيئاً عن حياته سوى اسمه وتاريخ وفاته .

ثانياً. لقبه :

عرف ابن أبي الفضائل بأكثر من لقب منها القبطي[2] ، كونه من أقباط مصر[3] ، وعُرف أيضاً بالمصري[4] ، وأضيفت إليه هذه الألقاب ممن ترجم له من أصحاب المصنفات لتميزه عمن يحمل الاسم نفسه[5] .

ثالثاً. ولادته :

لم تشر المصادر إلى الزمان والمكان الذي ولد فيه المفضل بن أبي الفضائل ، ولكنه ذَكَر في مصنفه أنه كان يعمل نائباً في نيابة السلطنة المملوكية عام 699هـ/1299م[6] . بناءً على ذلك يمكننا القول أنه ولد في بدايات النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في مصر .

---

(1) الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص279 ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج12 ، ص315 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص193 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص146 ؛ نخلة ، سلسلة تاريخ البابوات ، ص47 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص224 .

(2) الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص279 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص193 ؛ قنواتي، المسيحية والحضارة العربية ، ص224 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص146 .

(3) الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص279 ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج12 ، ص315 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص146 .

(4) سركيس ، معجم المطبوعات ، ج1 ، ص193 .

(5) الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص279 ؛ شيخو ، المخطوطات العربية ، ص133 .

(6) لقد حمل هذا الاسم أكثر من شخص لذلك لقب بهذه الألقاب ومنهم : فضائل بن أبي فضائل بن بطيطة أبو محمد الصوفي . الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، ط1(بيروت : دار الكتب العلمية ، 1418هـ/1996م) ، ج20 ، ص141 ؛ ، وكذلك أبو الفضل احمد بن أبي الفضائل عبد المنعم . ابن المستوفي ، المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الاربلي (ت637هـ/1239م) ، تاريخ أربل ، تحقيق : سامي بن سيد خماس الصفار ، (بغداد : دار الرشيد للنشر ، د.ت) ، ج1 ، ص678 .

(1) ابن أبي الفضائل ، المفضل (ت نحو 759هـ/1358م) ، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد ، نشره وترجمه إلى الفرنسية : E.Blouchet ، في مجموعة Patrologia Toms X11 , XIV, XX/Orientalis باريس : 1919–1029م ، جاءت هذه الرواية في العدد : XIV ، ص469 .

رابعاً. عمله في نيابة السلطنة المملوكية :

لم تتطرق المصادر إلى عمله ومتى تولى هذا المنصب ، لكنه أشار في مصنفه إلى ذلك حينما ذكر في أحداث عام 699هـ/1299م قائلاً : " ... وكتب إلى الديار المصرية وأنا بها نائب "[1] ، ومن ثم أشار مرة أخرى في أحداث السنة ذاتها قائلاً : " وكنت كما تقدم القول مقيماً في نيابة السلطنة بالديار المصرية "[2] . هذا كل ما نعرفه عن طبيعة عمله من دون الإشارة إلى المدة التي بقي يمارس عمله فيها .

خامساً. كتاب (النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد) :

أ. وصف الكتاب :

يُعد كتاب النهج السديد واحداً من أهم المصنفات غير الإسلامية ، إذ تناول مدة تاريخية مهمة في أحداثها شملت نهايات التواجد الصليبي في البلاد الإسلامية ، فضلاً عن الغزو المغولي وما جرى بينهم وبين السلاطين المماليك ، وعن سبب تأليفه لهذا المصنف يقول في مقدمة كتابه : " لما أطلعت على تاريخ ابن العميد ورأيت مدته تنتهي إلى أول الدولة الظاهرية بيبرس البندقداري ، وإن زماننا ينتهي إلى آخر الدولة الناصرية محمد بن قلاوون فرأيت أن أضيف إلى ذلك ما تجدد من ابتداء الدولة الظاهرية من الحوادث والمستجدات العامة مرة والخاصة مرة أخرى ، مستمداً من مشيد الأعمال ومبلغ الآمال بالسلامة في هذا الدار وحسن الحال "[3] .

وهذا المصنف يكاد يخلو من الحشو والزيادات والإضافات ، وألفَّ وكُتب بلغة سلسة على وفق النظام الحولي ، ويذكر في بداية كل عام اسم الخليفة والسلطان والولاة من بقي منهم أو عُزل أو غير ذلك ، ثم يبدأ في سرد الأحداث وما حصل في ذلك العام ، ويذكر وفاء نهر النيل أو نقصانه وما يترتب على ذلك من غلاء في الأسعار والمجاعات ، فضلاً عن ذلك فإنه لا يهمل أخبار النصارى وما جرى لهم من أحداث من خلال إطلاعه على مصادر النصارى ، إذ يذكر ذلك قائلاً : " والذي ورد في تواريخ النصارى

---

(2) المصدر نفسه ، العدد : XIV ، ص469 .

(3) المصدر نفسه ، العدد : XIV ، ص469 .

(1) النهج السديد ، العدد : XIV ، ص408 .

من الحوادث "[1] ، ومن ثم يذكرها بالتفصيل ، وترجع أهمية هذا المصنف بأنه يروي أغلب رواياته كشاهد عيان ، إذ أنه كان مقرباً من السلطنة المملوكية بحكم عمله الإداري في نيابة القاهرة ، وإطلاعه على الكثير من الأسرار الخاصة بها .

ب. منهجه :

سنتطرق إلى جزء بسيط من المنهج الذي سار عليه ابن أبي الفضائل في هذا المصنف ، وعلى الشكل الآتي :

1. حصل على بعض معلوماته عن طريق المشاهدة ، مثلاً عن بعض الأخبار التي ترد إلى مصر بخصوص التتار يقول : " وكتب إلى الديار المصرية وأنا بها نائب ... "[2] .
2. استقى مادته العلمية أيضاً عن طريق الاطلاع على الكتب والمدونات التي صُنفت قَبله ولم يعاصر مؤرخيها ، ويسمي هذه المصنفات مثلاً يقول : " وذكر الطبري في تاريخه ... "[3] .
3. استقى بعض معلوماته أيضاً عن طريق الاطلاع على السجلات الرسمية في الدواوين ، مثلاً عن فتح أنطاكية من قبل الظاهر بيبرس وكتب البشارة التي كُتبت إلى النواب بالبلاد الشامية والمصرية والفرنجية وفي الجملة كتاب الى صاحبها وهو يؤمئذ مقيم بطرابلس يقول : " نسخته قد علم القومص الجليل ... ما كان من قصدنا طرابلس وغزونا له في عقر الدار ... "[4] .
4. الإشارة أحياناً الى عدم تأكده من الأخبار التي يرويها ويقول في بدايتها : ويقال ، وقوله في نهاية الخبر ، والله أعلم ، مثلاً عن ما جرى في أيام كافور الأخشيدي يقول : " وقيل حصل تهاون في أمر الثغور ... والله أعلم "[5] .

---

(2) المصدر نفسه ، ص283 .

(3) المصدر نفسه ، ص469 .

(4) المصدر نفسه ، ص228 .

(1) النهج السديد ، العدد : XIV ، ص167 .

(2) المصدر نفسه ، ص233 .

5. يعبر عن رأيه من خلال تعليقاته على الأخبار التي يسوقها والتي تكشف عن عاطفته تجاه الموقف الذي يتحدث عنه ، مثلاً عن هجوم الملك لويس التاسع ملك الفرنجة على الديار المصرية يقول : " ثم خذله الله وأمكن المسلمين منه ... "[1] .
6. لم يعتمد على مصادر نصرانية فقط بأخذ رواياته ولكنه حرص على تنوع موارده بأخذه المعلومات من مصادر إسلامية ، مثلاً يقول : " قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة في تاريخه ... "[2] .
7. عمد إلى الاستشهاد ببعض القصائد الشعرية للتدليل على صحة الرواية ، كقوله : " إن سلطان البرايا زاده الله سعادة ... فمر الأعداء رعباً وله بالنصر عادة "[3]
8. أتبع أحياناً الإحالة في بعض الروايات التي وردت في تاريخه ، مثلاً يقول : " وكان الملك احمد أغا المغولي مسلماً ويحب المسلمين كما سيأتي ذكره في السنة الآتية "[4] .
9. يذكر الرواية أحياناً من دون الإشارة إلى مصادرها ، مثلاً يقول : " وردت الأخبار إلى مصر بنزول التتار على السيرة ... "[5] .
10. يظهر الجانب النقدي عند ابن أبي الفضائل عندما يعلق عن تفضيله لبعض الروايات عن غيرها وترجيحه الروايات التي يراها جديرة بالترجيح ، مثلاً عن فتح حصن الأكراد يقول : " ... هذا ما ذكره ابن عساكر في تاريخه ، وأما ابن منقذ فذكر في كتاب البلدان ... "[6] .

سادساً. وفاته :

---

(3) المصدر نفسه ، ص121 .
(4) المصدر نفسه ، ص100 .
(5) المصدر نفسه ، ص191 .
(6) المصدر نفسه ، ص335 .
(1) النهج السديد ، العدد : XIV ، ص131 .
(2) المصدر نفسه ، ص188 .

توفي المفضل بن أبي الفضائل عام 759هـ/1358م[1] ، ولم تتطرق المصادر إلى سبب وفاته ومكان دفنه ، إنما أكتفت بذكر تاريخ وفاته فقط[2] .

المبحث الثامن

قراءة في الكتابات وتحليل رواياتها

لم يكتفِ غير المسلمين المقيمين في البلدان الإسلامية باتخاذ اللغة العربية كأداة للتعبير عن طقوسهم وثقافتهم ومعاملاتهم اليومية ، بل تعدوا ذلك إلى الاهتمام بالشأن الثقافي والحضاري العام ، فقد أسهموا عن طريق الترجمة والتأليف ، وتركوا مصنفات عديدة تتناول الحياة العامة للمسلمين ، ولكن مما لاشك فيه أن عقيدة المرء عند البعض منهم تؤثر على فهمه ورؤيته للأحداث والتطورات ، وبالتالي نظرته وتصوره لها[3].

---

(3) الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص279 ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج12 ، ص315 .

(4) الزركلي ، الأعلام ، ج7 ، ص279 ؛ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ج6 ، ص146 ؛ قنواتي ، المسيحية والحضارة العربية ، ص224 .

(1) النجيدي ، حمود بن محمد بن علي ، منهجية ابن العبري التاريخية تجاه أحداث الحروب الصليبية مقارنة بمنهجية ابن الأثير ، مجلة المؤرخ العربي ، (القاهرة : مجلد 1 ، العدد 19 ، 1421هـ/2001م) ، ص525 .

لذلك كان لكل واحد من هؤلاء المؤلفين نظرة مختلفة عن الآخر في سرد الأحداث، فبعد إطلاعنا على هذه المصنفات وجدنا البعض يظهر عاطفته وعدم تجرده في مصنفه ، والبعض الآخر كان حيادياً في تناوله للأحداث ، وقد يكون دوافع بعض أولئك تخوفاً أو تزلفاً إلى السلطة ، وفيما يأتي عرض يسير لهذه المصنفات وتحليل بعض رواياتها وذكر سبب حياديته أو خلاف ذلك :

أولاً. تاريخ العالم القديم ليوحنا النيقيوسي :

يُعد هذا المصنف من المصادر التاريخية المهمة التي تناول في الجزء الأخير منه الفتح العربي الإسلامي لمصر ، إذ إنه دوّن الكثير من الأحداث التي لم يوردها غيره من المؤرخين كونه شاهد عيان عن تلك الأحداث ، وساعد على كشف بعض الأحداث التي كانت غامضة ، كشخصية المقوقس التي ظلت مبهمة زمناً طويلاً ، لكن هذا المصنف شابه الكثير من الأخطاء ، فعند الاطلاع عليه وجدنا أن عاطفة المؤرخ الدينية قد لعبت دوراً كبيراً في تدوين الأخبار والروايات وإيرادها ، إذ إنه خلط بين صفته كمؤرخ وعمله الديني كأسقف ، ومن ثم رئيساً لأساقفة الوجه البحري في مصر ، فقد سخر رواياته (حين ذكره لبعض الأحداث) لأهداف دينية عازياً ما حصل لهم ذلك لابتعادهم عن الدين الصحيح ، وكانت سبباً في خسارتهم أمام الفتح العربي الإسلامي ، فيقول عن فتح عمرو بن العاص حصن بابليون : " هكذا عاقب الله الناس الذين لم يمجدوا محبة مُخلِّصنا وربنا يسوع المسيح الذي وهب الحياة للذين يؤمنون به ، وجعلهم يهربون أمام أعدائهم "[1].

وعند ذكره الفتح الإسلامي لمدينة نيقيوس مسقط رأسه ، صوَّر الجيش العربي الإسلامي كجيش فاتك يقتل ويسلب حتى من لا يقاومه ، إذ يقول : " واستولى المسلمون على نيقيوس ولما دخلوها لم يجدوا بها ولا جندياً واحداً لمقاومتهم وكانوا يذبحون كل من قابلهم في الشوارع أو في الكنائس "[2] ، لكن المصادر الإسلامية أوردت خلاف ذلك ، إذ يروي ابن عبد الحكم (ت257هـ/870م) عن فتح هذه المدينة قائلاً : " عندما وصل المسلمون مدينة نيقيوس لقوهم في البر والبحر ، فبدأت الروم والقبط فرموا النشاب بالماء

---

(1) تاريخ العالم القديم ، ص215 .

(2) المصدر نفسه ، ص217 .

رمياً شديداً حتى أصابت النشاب يومئذ فرس عمرو بن العاص "[1] . وهذا يعني أن العرب المسلمين واجهوا مقاومة عند هذه المدينة ، وإن القبط أنفسهم شاركوا الروم في الدفاع عنها ضد الجيش العربي الإسلامي .

ووجدنا في موضع آخر من الكتاب خروجه عن أسلوب المؤرخ ويغلِّب عاطفته ، إذ أبدى أسفه لانتصار المسلمين على الروم ويتهجم على المسلمين بقوله : " فليوقع الله هذا العقاب على المسلمين وأن يعمل بهم كما فعل مع فرعون القديم "[2] .

وأحياناً يظهر المبالغات الواضحة في رواياته تجاه العرب المسلمين ، فمثلاً حين ذكره للجزية التي فرضها المسلمون على أهل الذمة في مصر يقول : " وبعد ما ملك عمرو الإسكندرية ... أوصل الجزية إلى ألف قطعة ذهبية شهرياً "[3] ، إلا أن المصادر الإسلامية ذكرت أنه : " لما فتح عمرو بن العاص مصر ، صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ، ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبي ، فأحصوا بذلك على دينارين دينارين "[4] .

وهذا هو جزء بسيط يوضح موقف يوحنا مؤلف هذا المصنف ونظرته تجاه المسلمين ، لذلك سنتطرق إليه في دراستنا عن الحياة العامة للمسلمين ومقارنة هذه الروايات مع المصادر الإسلامية وغير الإسلامية ونقدها والخروج قدر الإمكان بالرواية الأصح والأقرب للعقل والمنطق والواقع .

ثانياً. تاريخ ابن البطريق :

---

(3) عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم المصري (ت257هـ/870م) ، فتوح مصر والمغرب ، (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ، 1415هـ/1994م) ، ص202-203 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص160 .

(4) تاريخ العالم القديم ، ص226 .

(5) المصدر نفسه ، ص233 .

(1) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص93 ؛ البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م) ، فتوح البلدان ، (بيروت : دار ومكتبة الهلال ، 1418هـ/1998م) ، ص214 ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج1 ، ص109 .

يُعد هذا المصنف أحد المصنفات الحيادية التي تناولت تاريخ المسلمين ، فإذا ما أطلع أي باحث عليه يجد أن عقيدة المؤلف الدينية لم تؤثر عليه في نقله للرواية التاريخية عن المسلمين على الرغم من مركزه الديني المتقدم ، إذ كان يشغل منصب البطريك ، ويبدو أن سبب حياديته في عرض الأخبار والروايات التاريخية يعود الى توليه منصباً رسمياً جعله قريباً ومسؤولاً أمام السلطة الحاكمة المتمثلة بالإمارة الأخشيدية آنذاك في مصر ، إذ شهد عهد هذه الإمارة اضطهاداً لبعض أهل الذمة لاسيما في عهد محمد بن طغج الإخشيدي (334-321هـ/933-946م) ، وأدى به الأمر إلى تصفية بعض أملاك الكنيسة ، وصادر بعض أموال النصارى[1] ، وقد يكون هذا سبباً أيضاً في حياديته لتخوفه مما قد يجري عليه مثلما جرى على إخوانه في الدين والعقيدة ، كما نوه إلى الاختلاف والتباين بين كتب التاريخ في إيرادها للأخبار والحوادث ، مما يدل على امتلاكه مَلَكَة النقد ، ويشير قائلاً : " وقد اختلف الناس في التاريخ اختلافاً متبايناً كثيراً والذي صح عندي من ذلك بعد بحث طويل ... "[2] .

كما أنه حينما يورد اسم الرسول الكريم ﷺ والخلفاء كان يتبعه بذات الألقاب التي تنعتهم بها المصادر الإسلامية ، وخالف المصنفات غير الإسلامية الأخرى كقوله : " وفي أول سنة من ملك هرقل ملك الروم كانت هجرة النبي بالمدينة "[3] ، أي أنه يعترف بنبوة الرسول الكريم ﷺ ، وكان ينقل الرواية بحيادية ومن دون تهجم أو انتقاص من المسلمين ، فيقول مثلاً : " فلما ولي أبو بكر أرتد العرب فقاتلهم حتى رجعوا إلى الإسلام "[4] .

وحينما يذكر الفتوحات الإسلامية ومعاملة الفاتحين لأهل الذمة يذكر أن ذلك تم بشكل مقبول من دون اعتداء عليهم وعلى ممتلكاتهم ، أي لم تؤثر عليه عاطفته الدينية، فمثلاً يقول عن فتح بيت المقدس وكيف أعطى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأمان

---

(2) تاجر ، جاك ، أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام 1922م ، (القاهرة : مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافية ، 1433هـ/2012م) ، ص99-100 .

(3) تاريخ ابن البطريق ، ص5 .

(1) تاريخ ابن البطريق ، ص1 .

(2) المصدر نفسه ، ص9 .

لأهل أيلياء : " بسم الله الرحمن الرحيم .. من عمر بن الخطاب لأهل مدينة أيلياء أنهم أمنون على دمائهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم لا تُهدم ولا تُسكن "[1] . وهذه الرواية تعطي صورة واضحة عن موقف ونظرة ابن البطريق للمسلمين بأنهم فاتحين عادلين ولم يعتدوا على أهل الذمة وعلى ممتلكاتهم ، وهذا قليلاً ما نجده عند المؤرخين غير المسلمين ، أي نقلها من دون الإضافة عليها أو تحريفها .

وحينما يتطرق إلى الجزية التي فرضها المسلمون على أقباط مصر يقول : " وفُرض عليهم دينارين "[2] ، وهذا جزء بسيط من مدى حيادية ابن البطريق في ذكره الحياة العامة للمسلمين ، حتى أنه اعتمد على مصادر إسلامية في تأليف مصنفه هذا ، مما أدى به أن يكون متطابقاً الى حد كبير مع المصنفات الإسلامية ، وعُدَّ واحداً من المؤلفين الذميين المعتدلين ، وكما ذكرنا سابقاً بأن الدولة الأخشيدية لم تكن تتسامح مع من يريد إثارة الفتن والنزاعات ، فبعد الشقاق الذي حصل بينه وبين الأساقفة وما حصل من اضطرابات أمر محمد بن طغج الإخشيد الجيش بإغلاق ومصادرة بعض الكنائس ، فضلاً عن ذلك المجيء ببعض الأساقفة ورجال الدين النصارى ومن ضمنهم ابن البطريق[3] . لذلك تجنباً للتكرار اقتصرت دراستنا فقط على قراءة في حياته ومصنفه من دون دراسة الروايات التي أوردها عن المسلمين .

ثالثاً. تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع :

يُعد هذا المصنف موسوعة علمية مهمة من بين مصنفات المؤلفين غير المسلمين ، إذ لا يمكن للباحث في تاريخ مصر الاستغناء عنه ، وبالتالي فمضمونه أعم واشمل بكثير مما يوحي به عنوانه إذ يجعل منه كتاباً لتاريخ مصر وليس لتاريخ الكنيسة القبطية فقط[4] ، ولأن هذا المصنف أسهم في تأليفه أكثر من مؤلف إذ أكمل عليه مؤلفون آخرون كونه يتناول سير البطاركة ، أي يتمم عليه مؤلفون آخرون ويكملونه بعد وفاة من

---

(3) المصدر نفسه ، ص17 .

(4) المصدر نفسه ، ص24 .

(1) المقريزي ، القول الابريزي ، ص108 .

(2) معوض ، كتاب تاريخ البطاركة باللغة العربية ، ص218 .

أضاف إليه وأكمله ، لذلك جاءت آراؤهم وتوجهاتهم ونظرتهم للإسلام مختلفة ومتباينة ، فمنهم من كان توجهه الديني أو مركزه قد ظهر في أسلوبه من خلال نقله للروايات الخاصة بالمسلمين ، إذ يستخدم عبارات بعيدة عن الأسلوب الذي يتبعه من سبقه من المؤلفين ، فقد ورد في هذا الكتاب عن دخول الجيش العربي الإسلامي مصر وفتحها عبارة : " وكان عمرو بن العاص أعطى العهد لأهل حصن بابليون وكان هذا العهد أعطاه إياه محمد رئيسهم سموه الناموس ... "[1] ، ويقصد به العهد الذي مُنح لأهل الذمة .

وعن وصفه الرسول الكريم ﷺ بالرئيس هو إنكاره لنبوته ، وهذا منهج سار عليه المستشرقون فيما بعد ، فهذا توماس كارليل الكاتب الاسكتلندي في كتابه (الأبطال وعبادة البطل) لا يعترف بنبوة الرسول ﷺ ويعدَّه بطلاً كسائر الأبطال الذين حققوا العدالة في مجتمعهم[2] ، لا بل لا يكتفِ بعض مؤلفي كتاب تاريخ البطاركة بذلك بل يصفونه كثائر ، إذ ورد فيه : " ثار رجل من العرب من نواحي القبلة من مكة ونواحيها اسمه محمد "[3] . ومن خلال ذلك يتبين أنه ينكر نبوة الرسول وكذلك لا يعترف بالإسلام كدين سماوي .

كما لم يسلم من نقده حتى الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) الذي عُرف عنه أنه أكثر الخلفاء عدلاً ، إذ ورد فيه : " هو شخص يصنع خيراً عظيماً أمام الناس ويفعل السوء أمام الله ... وبعد أن ظلم الناس في الجزية لم يهمله الله لكن أهلكه سره ولم يمكنه بالملك لأنه كان يشبه الدجال "[4] .

وهذا دليل واضح على أنَّ العاطفة الدينية لعبت دوراً كبيراً عند كتّاب هذا المصنف ، وهذه الرواية وغيرها قادتنا إلى التركيز والبحث في دراستنا على هذا المصنف لما يحتويه من تناقضات وتهم للمسلمين تخص الحياة العامة لهم .

رابعاً. كتابا (رسوم دار الخلافة) و(تحفة الأمراء) لهلال الصابي :

---

(3) تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص87 .

(4) فوزي ، فاروق عمر ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (القرون الإسلامية الأولى) ، ط1(عمان : الأهلية للنشر والتوزيع ، 1418هـ/1998م) ، ص54 .

(1) تاريخ البطاركة ، ج1 ، ص86 .

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص130 .

يُعد كتاب رسوم دار الخلافة من المصنفات المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها في تناول الأحداث في ذلك العصر ، كون مؤلفه اعتمد في تأليفه على الكتب الرسمية وسجلات دار الخلافة العباسية[1] ، وبناءً على ذلك فقد عُدَّ كتاباً قيماً يحوي أموراً لا تحويها المصادر الأخرى ، وعلى الرغم من أن مؤلفه لم يعتنق الإسلام إلا في وقت متأخر من حياته ، وألف كتابه حينما كان صابئياً إلا أنه كان حيادياً في نقل الرواية ولم تؤثر عقيدته الدينية على مصنفاته مثلما جذبت البعض من المؤلفين غير المسلمين ، وقد يكون لذلك أسباب عديدة ربما أولها أنه ينتمي لعائلة كان لها باعٍ طويل في خدمة الخلافة العباسية، إذ كان جده أبو إسحاق كاتباً في دار الخلافة[2] ، ومن ثم عمل هو فيها[3] ، حتى أصبح مقرباً جداً من الخلافة العباسية كما أصبح كاتباً لفخر الملك البويهي ، إذ أن مثل هذه الثقة التي مُنحت له لم تكن عن عبث ، كونه كان بعيداً عن الأهواء والميول الشخصية والدينية .

أما مصنفه فعند الاطلاع عليه نجده كتاباً لا يكاد القارئ أن يميزه عن المصادر الإسلامية ، بل جاء مطابقاً لها بالأسلوب والمنهج ، وكان يطلق ألقاباً على الخلفاء العباسيين لا تطلقها حتى المصادر الإسلامية ، فمثلاً يقول : " فأما في أيام المستكفي بالله صلوات الله عليه "[4] ، وقوله أيضاً : " وفي أيام المقتدر بالله صلوات الله عليه "[5] ، وإن كان هذا عرض موجز لبعض رواياته لكنه يعطي صورة واضحة عن موقفه ونظرته للمسلمين .

أما كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء ، فإنه لا يكاد يكون هناك أي تباين بينه وبين كتاب رسوم دار الخلافة من حيث موقفه ونظرته للأحداث التاريخية الخاصة بالمسلمين ، إذ أنه جاء لعرض مناقب الوزراء وذكر الأفعال المشهورة لكل واحد منهم ، فمثلاً يقول عن الوزير ابن الفرات : " لما قُبض على ابن الفرات في وزارته الأولى نظرنا

---

(3) عواد ، كتاب رسوم دار الخلافة ، ص977 .

(4) شيخو ، هلال الصابي وتآليفه ، ص467 .

(5) المرجع نفسه ، ص467 .

(1) رسوم دار الخلافة ، ص8 .

(2) المصدر نفسه ، ص13 .

فإذا هو يجري على خمسة آلاف إنسان ما بين مائة دينار في الشهر إلى خمسة دراهم ونصف "[1] ، ويشير إلى اهتمام الوزراء بأهل العلم كالشعراء ، فمثلاً يقول : " إن أبا الحسن بن الفرات يطلق للشعراء في كل عام ألف درهم رسماً لهم سوى ما يصلهم به متفرقاً عند مديحهم إياه "[2] .

هذه نصوص يسيرة عما ذكره من مناقبهم وأعمالهم ، وهذا يوضح للقارئ مدى تقرب الصابي من المسلمين في مصنفاته ، حتى أنه يقول عن الخلافة العباسية : " ورأيت حقوق النعمة التي غمرتني ، وغمرت أسلافي للدولة العباسية ، ثبت الله أركانها تقتضي العناية بها أن تُنشر "[3] .

وهذا دليل واضح وصريح عن مدى تقربه من المسلمين وموقفه ونظرته تجاههم ، لذلك تجنباً للتكرار ولكثرة الدراسات سوف لا تتناول الدراسة الروايات والأخبار والأحداث التي حواها كتابيه .

خامساً. كتابا (تاريخ مختصر الدول) و(تاريخ الدول السرياني) لابن العبري:

يُعد كتاب تاريخ مختصر الدول واحداً من أهم مصنفات المؤلفين غير المسلمين ، وذلك لما احتواه من أحداث ، يروي المؤلف بعضاً منها كشاهد عيان كالحروب الصليبية والاجتياح المغولي للعالم الإسلامي ، وجاء تأليف هذا الكتاب بناءً على طلب خاص من العلماء المسلمين له ، لذلك يجد القارئ أنه قد حذف الكثير وأضاف أموراً لم تكن موجودة في كتاب (تاريخ الدول السرياني) كونه كتب الكتاب الأخير باللغة السريانية ولم يترجمه إلى العربية حينها ، وكان سبب هذا الحذف والإضافة لتاريخ مختصر الدول تخوفاً من السلطة بحكم أنه يشغل منصب مفريان المشرق[4] ، ويتجول في بلاد الإسلام ويطلع على الكنائس والأديرة[5] ، فأدى ذلك به إلى إخفاء عاطفته الدينية تزلفاً وتخوفاً من الحكام ، وقد أشار إلى ذلك صراحة ولم ينكر تخوفه ، إذ يقول : " ... على بعض ما

---

(3) تحفة الأمراء ، ص108 .

(4) المصدر نفسه ، ص151 .

(5) رسوم دار الخلافة ، ص6 .

(1) بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص21 ؛ برصوم ، اللؤلؤ المنثور ، ص413 .

(2) بهنام ، ابن العبري حياته وشعره ، ص23 .

أوتي في ذكره اقتصاص إحدى فائدتي الترغيب والترهيب من أمور الحكام والحكماء خيرها وشرها ... "[1] . أي أن أسلوب الحيادية الذي أتبعه لم يكن برغبته إنما خوفاً مما يترتب عليه من عواقب ، لذلك جاء مختلفاً عن تاريخ الدول السرياني .

أما كتابه تاريخ الدول السرياني ، فقد تضمن روايات وأحداث لم يذكرها في تاريخ مختصر الدول ، لما تحتويه من الإساءة والتهجم على المسلمين ، إذ كانت عاطفته الدينية غالبة عليه في هذا الكتاب ، حتى أن ناشر هذا الكتاب إسحاق رملة قال : " تضمَّن هذا المصنف أحداثاً وأخباراً لم يروها في تاريخه العربي تخوفاً وتزلفاً ، وذلك ما حدا بنا على نقل تاريخه هذا الفريد إلى العربية "[2] . وهذا دليل واضح لمدى التباين بين الكتابين لذلك سوف تتركز دراستنا للروايات والأحداث الخاصة بالمسلمين على (تاريخ الدول السرياني) فقط .

سادساً. كتاب أخبار الأيوبيين لابن العميد :

عُدَّ هذا المصنف من المصنفات الحيادية في نقله للروايات والأحداث التاريخية الخاصة بالمسلمين ، إذ وجدنا أنه كان مجرداً من عاطفته الدينية وبعيداً عن الأهواء والميول الشخصية ، وجاء هذا المصنف ليبين بأن مؤلفه من المؤلفين غير المسلمين المعتدلين ، فنراه عند ذكره للمعارك التي جرت بين السلاطين الأيوبيين والصليبيين لم يكن حيادياً في نقل الرواية فقط ، بل يبدي فرحه بانتصار الأيوبيين وعدم تأثره بانكسار الصليبيين الذين هم من أبناء جلدته ، مثلاً عن نزول الفرنج دمياط[3] عام 616هـ/1219م وخروج السلطان الملك الكامل الأيوبي لمواجهتهم قال : " فالتقاهم الملك الكامل بعساكره وأعطاه الله النصر ، فكسرهم وأسرهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة "[4] . وكما يبدو هنا أنه قد سُر بخبر الانتصار على الصليبيين ، وفشل الهجوم الذي قاموا به

---

(3) تاريخ مختصر الدول ، ص1-2 .

(4) مقدمة تحقيق تاريخ الدول السرياني ، مجلة المشرق ، مج43 ، 1949م ، ص464 .

(1) دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق ، وهي ثغر من ثغور الإسلام . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ، ص472 .

(2) أخبار الأيوبيين ، ص11 .

ضد بلاد مصر ، ولم يقف عند هذا الحد بل يسمي القتال ضد الصليبيين والتتار جهاداً ، مثلاً يقول : " وفيها [647هـ/1249م] قُتل فخر الدين ابن الشيخ رحمه الله تعالى غازياً مجاهداً في سبيل الله "[1] .

وبعد هذا العرض الموجز لبيان مدى حياديته وموقفه من المسلمين يمكننا القول إن سبب هذه الحيادية هو أنه كان يعمل في ديوان الجيش الأيوبي ومن ثم المملوكي لعدة أعوام ، أي أنه كان مقرباً من السلطة الحاكمة ، فضلاً عن ذلك تعرضه للاعتقال لأكثر من مرة ، كل هذه الأسباب جعلت مصنفه حيادياً تجاه المسلمين ربما تخوفاً منهم، وكذلك إرضاءً للسلطة الحاكمة ، لذلك اقتصرت دراستنا على المؤلف ومصنفه من دون الخوض في الأحداث والروايات التي احتواها .

سابعاً. كتاب النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد لابن أبي الفضائل :

يُعد هذا المصنف أحد المصنفات المهمة والحيادية في رواياته وأحداثه الخاصة بتاريخ المسلمين ، فبعد الاطلاع وجدته لا يكاد يكون هناك أي تباين بينه وبين المصنفات الإسلامية ، لا بل على العكس كأنه مصنف أُلف من قبل مؤرخ مسلم لا نصراني ، إذ أنه كان متجرداً بشكل كبير من عاطفته الدينية والأهواء والميول الشخصية ، وجاء حيادياً في نظرته وموقفه تجاه الأحداث والروايات التي تضمنها مصنفه ، فنجده مثلاً في الانتصار الذي حققه المماليك على المغول في عين جالوت عام 658هـ/1260م يقول : " واستعان المسلمون بالله تعالى على قتالهم وبايعوا الله تعالى بنية خالصة وحملوا عليهم حملة رجل واحد فنظر الله تعالى إلى قلوبهم وحُسن نياتهم فأجاب دعاءهم وخذل أعداءهم ، ووقع فيهم السيف فلم ينجوا منهم إلا من شرد "[2] .

وكما هو واضح أنه يبدي فرحه بانتصارهم على المغول على الرغم من أن النصارى كانوا داعمين لهم ، لأنهم لم يتعرضوا لهم ولا لكنائسهم عند هجومهم واجتياحهم للبلدان .

---

(3) المصدر نفسه ، ص37 .

(1) النهج السديد ، ص75 .

ولا يكتفي بذلك بل أنه هاجم الصليبيين على الرغم من كونهم أخوة في العقيدة ، واتهمهم بالتحالف مع التتار ضد المسلمين ، فعندما يذكر استعداد الظاهر بيبرس لإخراج التتار من حلب عام 659هـ/1260م ، يقول : " ساروا في جيش كثيف لترحيل التتار عن حلب فلما وصلوا غزة كتب الفرنج من عكا إلى التتار يخبروهم بخروج العسكر إليهم فرحلوا عن حلب[1] . هذه الرواية لها دلالات عديدة منها : أن الفرنج كان يزودون التتار بمعلومات عن تحركات الجيوش الإسلامية ، فضلاً عن ذلك فإنهم كانوا راغبين ببقاء التتار في البلاد الإسلامية ، إذ أنَّ وجودهم يضعف ويشتت الجيوش الإسلامية مما يفسح المجال لهم لبسط نفوذهم على مدن وبلدان جديدة .

ومن خلال هذا الجزء اليسير من الروايات يمكننا القول إنه لا يمكن أن يكون ابن أبي الفضائل حيادياً لهذه الدرجة ويتهجم حتى على أبناء عقيدته ، ولكن كان هناك أسباب عديدة جعلت المصنف حيادياً منها : أن العصر الذي كان فيه ابن أبي الفضائل اضطهد فيه السلطان المملوكي الصالح صالح[2] (752-755هـ/1325-1353م) الذميين وشهد عهده مصادرات وعقوبات وهدم للكنائس[3] ، فضلاً عن ذلك فإنه كان موظفاً بنيابة السلطنة المملوكية بمصر ، أي أنه كان مقرباً من السلطة ، وقد يكون سبب حياديته تخوفاً من السلطة لكي لا يصيبه مثلما أصاب أخوته في العقيدة ، إذ أنَّ الوزير الصاحب علم الدين بن زنبور[4] الذي كان نصرانياً ثم اسلم تعرض إلى نقمة السلطان

---

(2) المصدر نفسه ، ص80 .

(1) هو الملك الصالح صالح بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، تسلطن بعد خلع أخيه الملك الناصر حسن عام 752هـ/1351م ، ولد بقلعة الجبل عام 738هـ/1337م ، ولما تولى السلطنة كان الأمر بيد الأمير طاز الناصري وهو له الاسم فقط ، توفي عام 761هـ/1359م . ابن تغري بردي ، مورد اللطافة ، ج2 ، ص87 ؛ عبد الباسط الملطي ، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الملطي (ت920هـ/1514م) ، نيل الأمل في ذيل الدول ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، ط1(بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، 1422هـ/2002م) ، ج1 ، ص322 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج10 ، ص285 ؛ موير ، وليم ، تاريخ دولة المماليك في مصر ، ترجمة : محمود عابدين وسليم حسن ، ط1(القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1415هـ/1995م) ، ص113 .

(3) هو عبد الله بن احمد بن إبراهيم الوزير الصاحب علم بن تاج الدين الشهير بابن زنبور القبطي المصري ، كان وزيراً بالديار المصرية ، ثم ولي نظر جيشها أيضاً ، وقعت بينه وبين الأمير صرغتمش

الصالح صالح يتهمه أنه مازال على ديانته النصرانية ، ولكن الحقيقة أنه رغب بمصادرة ثروته الكبيرة ، لذلك صادر أمواله وأنزل بحقه أبشع التعذيب وكذلك بأسرته ثم نفاه[1] .

ونعتقد أن هذه الأسباب كافية لتسويغ حيادية المصنف ، لذلك اقتصرت دراستنا على المؤلف ووصف الكتاب فقط من دون الخوض في نقاش ومناظرة رواياته وأخباره التي أوردها في مصنفه هذا .

قطيعة ، وقبض عليه وصودرت أمواله ، وتوفي عام 755هـ/1353م . ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت852هـ/1448م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، ط2(حيدرآباد : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1392هـ/1972م) ، ج3 ، ص3 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج10 ، ص299 ؛ المنهل الصافي ، ج7 ، ص69 .

(4) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج10 ، ص299 ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج8 ، ص296 .